الأدارة العامة

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

العددان التاسع والعاشر - المجلد الثالث - ١٤١١/١٩٩١/

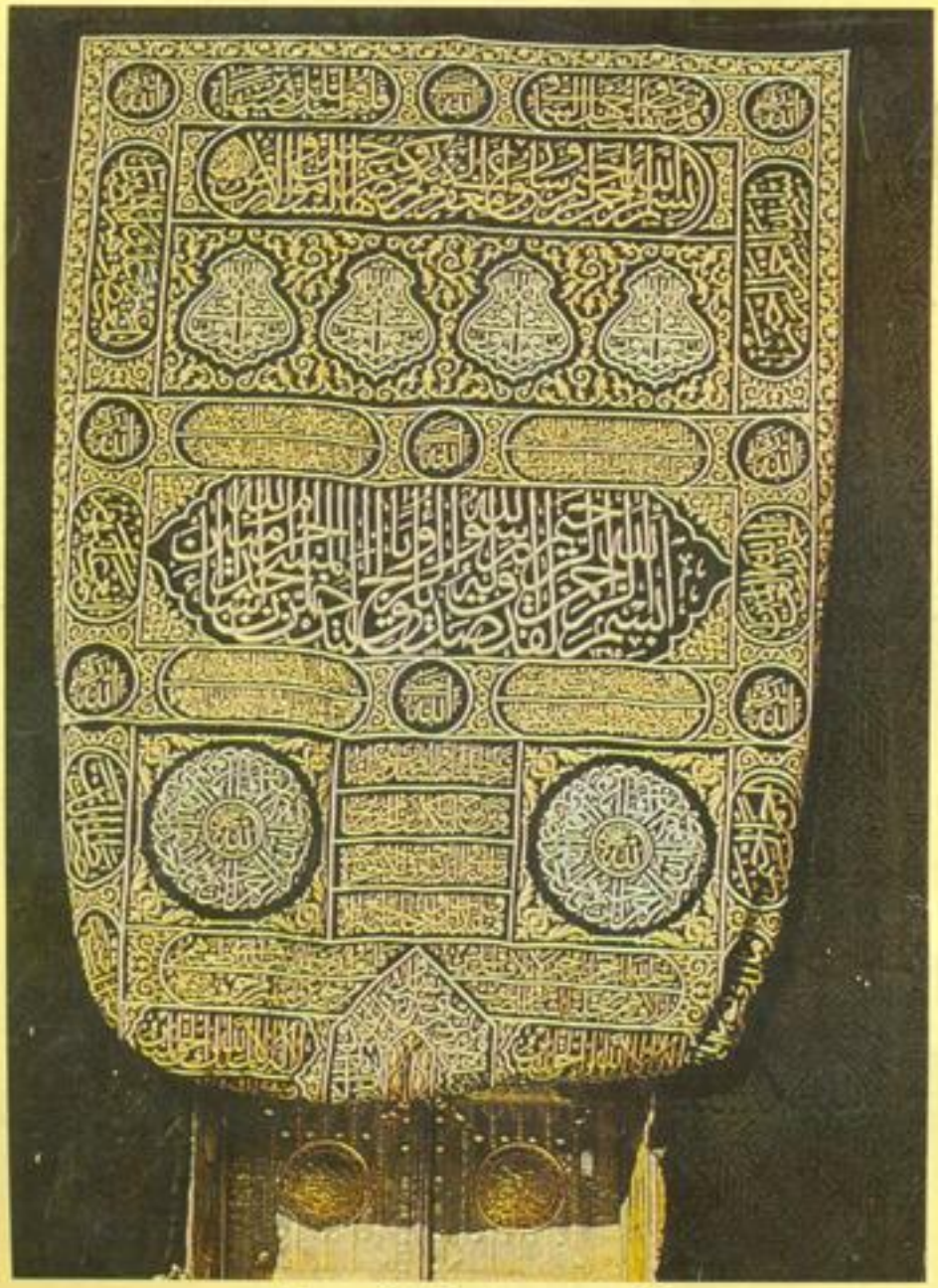

كسوة الكعبة الشريفة

(٩-١٠)

خازن المعلومات
مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الموسم

فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة

Shiabooks.net

تصدر عن دار الموسم للإعلام
بيروت ـ لبنان ص.ب ١١٣/٥١٤٤

صاحبها ورئيس تحريرها
محمد سعيد الطريحي

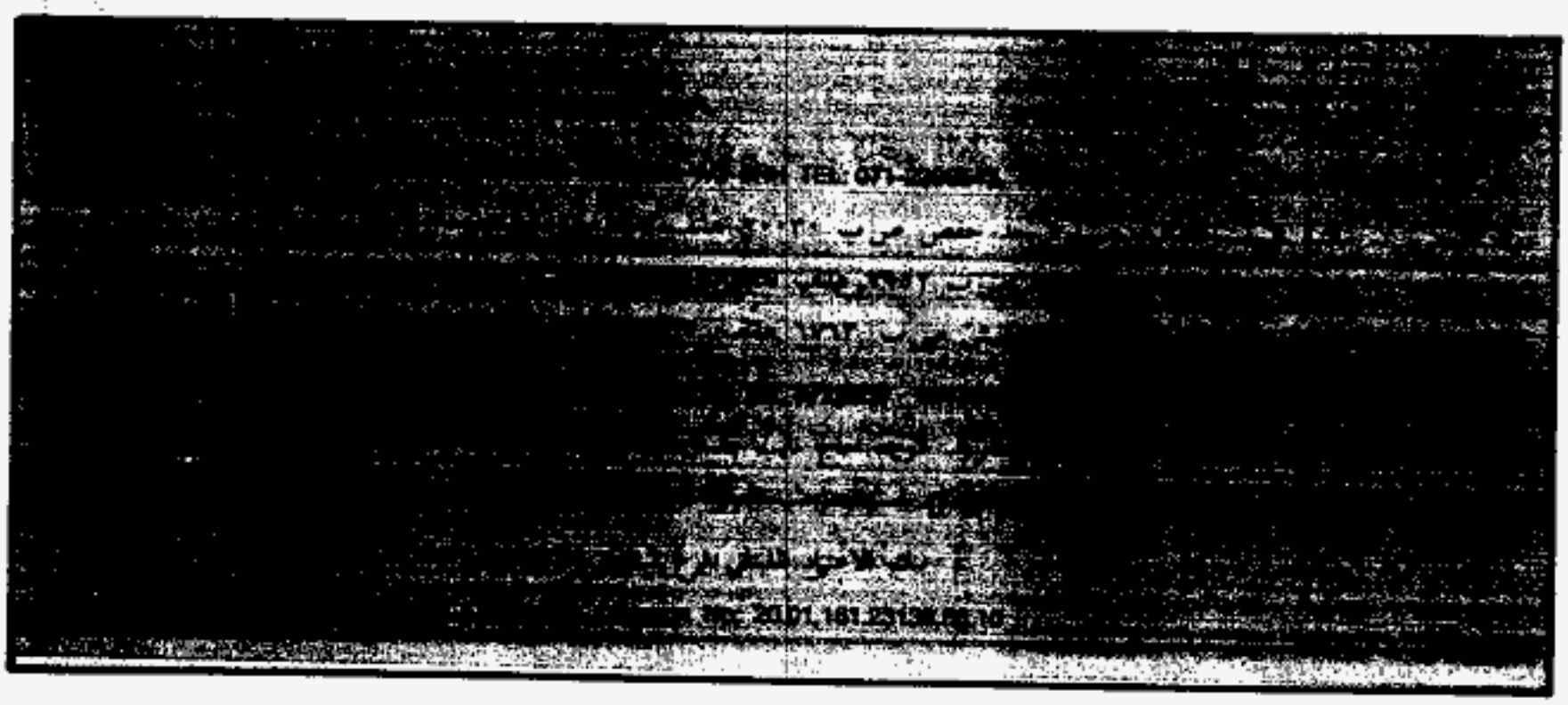

ذكرى .....

الشيخ ميرزا محسن

بن الشيـــخ

سلطان العبّاد الفضلي الاحسائي

(١٣٠٩ ـ ١٤٠٩ هـ)

بقلم :
الدكتور عبد الهادي الفضلي

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أسرته : «نسبه ـ أبوه ـ أمه ـ ولادته»
نشأته العلمية : «دراسته ـ أساتذته ـ اجازاته العلمية»
ثقافته : «عصر الكاظمين ـ عصر النائيني والاصفهاني ـ حواراته ولقاءاته العلمية ـ آثاره العلمية»
محطات مهمة في حياته :
«في الاحساء ـ في البصرة ـ في صبخة العرب ـ الصلح بين آل قرين والقزويني ـ في البصرة أيضاً ـ مجلس الجمعة ـ في الزبير ـ حادثة الهلال في البصرة ـ»
أحداث بارزة في عصره :
«حادثة الهلال في البصرة ـ معركة توحيد المرجعيـة ـ المعركـة مع الشيوعية ـ برقية شجب الاشتراكية»

الفقيد في أيامه الاخيرة : «في الكويت ـ في سيهات ـ وفاته»
من مراثيه : جعفر الهلالي ـ محمد سعيد الجشي ـ عبد الحميد الشيخ منصور المرهون ـ محمد رضا الهاشم الشخص ـ عباس المحروس ـ عادل العيثان ـ عيسى اصليل ـ محمد أحمد مكي آل ناصر ـ حسن الخليفة ـ (بقية المراثي) ـ

فقيد العلم والتقى الميرزا محسن الفضلي الاحسائي

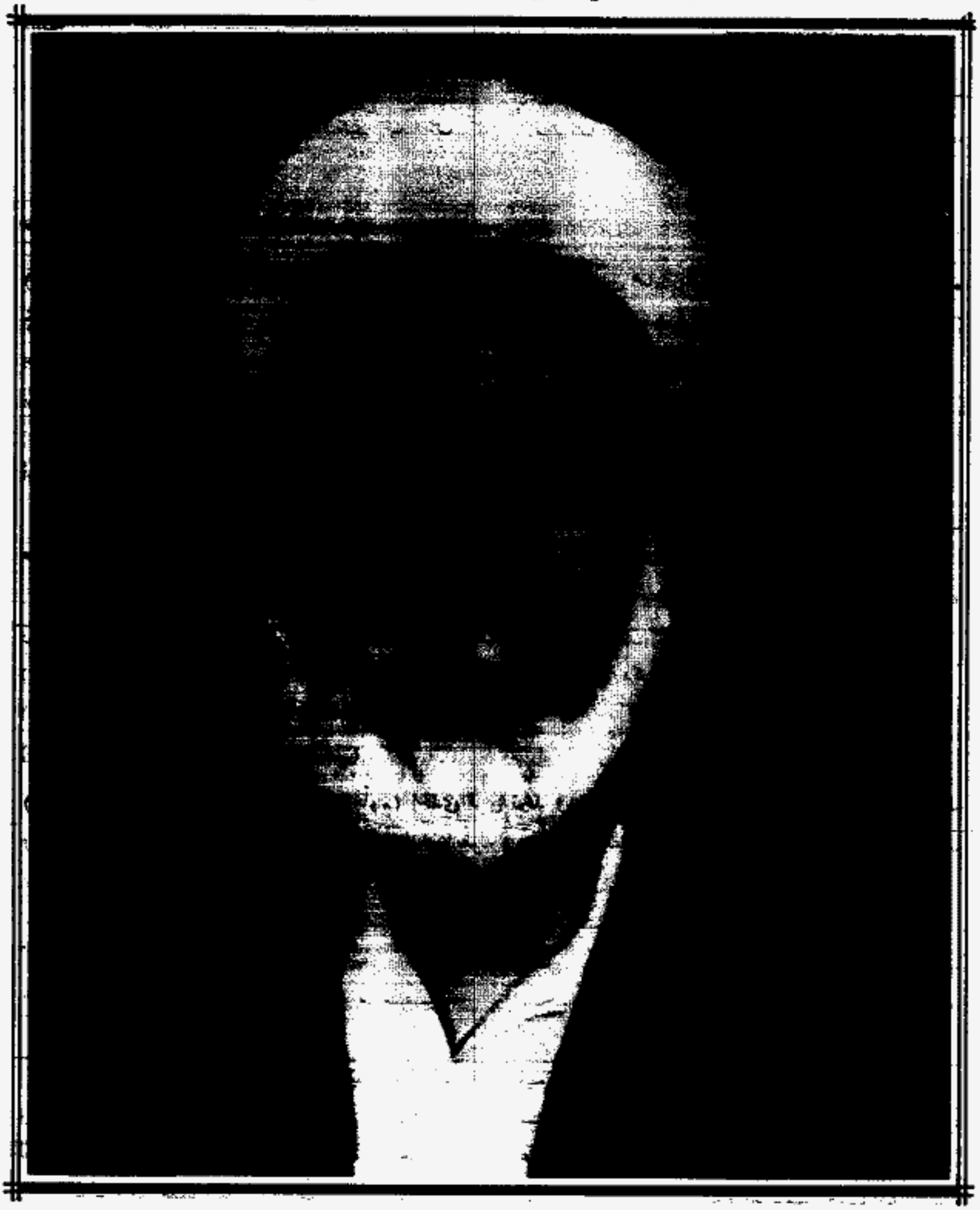

اشراقةُ العلم والايمان واضحـةٌ ... على محياك من حقٍ ومن نـور
كوّنت مجدَكَ من هـذين مرتبـةً ... عُليـا تحلّقُ في قُدْسٍ وتقـديـر
هذا هو الشـرفُ العالي تخلّـدُهُ ... آياً من الذكر في فنٍ وتصويـر

أسرته

نسبه :

ميرزا[١] محسن بن الشيخ سلطان بن محمد بن عبد الله[٢] بن عَبّاد[٣] بن حسين بن حسن بن أحمد بن علي بن أحمد بن حسن بن ريشان بن علي[٤] بن عبد العزيز بن أحمد بن عمران[٥] بن فضل بن علي بن حَديثة بن عُقْبة بن فضل .

---

(١) كلمة (ميرزا) من المعرب عن الفارسية ، وهي في الأصل مركبة من كلمتين هما : (أمير زاده) ، ومعناها (ابن الأمير) ثم خففت بسبب كثرة الاستعمال إلى (مير زاده) بحذف الهمزة من أولها ، ثم خففت أيضاً على طريقة النحت إلى (ميرزا) بحذف الدال والهاء من آخرها ، وربما خففت بحذف الدال والهاء فقط فيقال (أميرزا) .

وتستعمل على نحوين :

ـ اسم علم ، ومنه : ميرزا بن حاج تبريزي (ت ١١٩٤ هـ) ، وميرزا الاصفهاني النجفي (ت ١٣١١ هـ) ـ انظر : أعيان الشيعة ١٠/١٩٨ ـ .

ـ ولقب تكريم ، لمن كانت أمه علوية ، أي من نسل علي وفاطمة (عليهما السلام) ، مثل : الأميرزا عبد الله الأفندي صاحب رياض العلماء ، والميرزا محمد تقي الشيرازي قائد ثورة العشرين في العراق .

واستعمالها هنا من الثاني أي اللقب ، لأن اسم الوالد (محسن) ، ولُقّب بـ(ميرزا) لأن أمه علوية ـ كما سيأتي ـ ، وغلب استعمال هذا اللقب مع اسمه حتى أصبحَ كأنه مركب من كلمتين هما : (ميرزامحسن) .

(٢) كان رئيس الحمولة في وقته ، وهو الذي انشأ قرية الحوطة الآتي ذكرها .

(٣) واليه نسبة حولتنا (آل عَبّاد = العبّاد) .

(٤) واليه نسبة القبيلة (آل علي = العلي) .

(٥) كان ـ في بدء حياته ـ يسكن قرية (مَلْهَم) إحدى قرى نجد في قلب الجزيرة العربية ، حيث كانت موطن أهله وعشيرته ، ويعرّفها ياقوت الحموي في (معجم البلدان) بقوله : «مَلْهَم ـ بالفتح ثم السكون وفتح الهاء ـ . . . قال أبو منصور : مَلْهَم وقُرّان : قريتان من قرى اليمامة معروفتان . . . ، وهي موصوفة بكثرة النخل .

ويوم مَلْهَم من أيامهم ، قال جرير :

أتبعتُهم مقلةً إنسانُها غَرِقٌ ... هل يا تُرى تاركٌ للعين إنسانا
كأنّ أحداجهم تُحْدَى مُقَفّيةً ... نخلٌ بملهمَ أو نخلٌ بقُرّانا
يا أُمَّ عثمانَ ما تلقى رواحلنا ... لو قستِ مصبِحَنا من حيث ممسانا

وقال داود بن متمم بن نويرة في يوم كان لهم على ملهم :

ويوم أبي حرٍ بملهمَ لم يكن ... ليقطع حتى يدرك الذحلَ ثائرُهْ
لدى جدول النيرين حتى تفجرت ... عليه نحور القوم واحمرَ حائرُهْ» .

ثم نزح من ملهم سنة ١٠٥٠ هـ إلى (الاحساء وقطن في الجهة الشرقية منها ، وعرفت قراها باسمه حيث أطلق عليها (العمران) لشرائه معظمها ، ولما كان يتمتع به من رئاسة قبيلته التي كانت ـ هي الأخرى ـ تتمتع بالتفوق العشائري في المنطقة ، ولا تزال هذه المنطقة من الاحساء تعرف بهذا الاسم حتى الآن .

وكان عمران هذا يتمذهب بمذهب أهل السنة والجماعة عندما كان في نجد ، ثم تشيع وتمذهب بمذهب أهل البيت (عليهم السلام) عند نزوله الاحساء .

وهو فضل بن ربيعة أبو قبيلة الفضول المعروفة التي هي احدى بطون قبيلة طيء العربية الشهيرة .

وإليها نسبته .

أبوه :

هو الشيخ سلطان العبّاد ، ولد في قرية الحوطة من قرى الاحساء حدود سنة ١٢٦٢ هـ وتوفي فيها ١٣٢٠ هـ .

نشأ نشأة علمية دينية ، فحضر على السيد هاشم آل السيد سليمان الموسوي المتوفى سنة ١٣٠٩ هـ وكان يسكن في مدينة المبرز من الاحساء ، وعلى الشيخ محمد حسين أبو خمسين المتوفى سنة ١٣١٦ هـ وكان يسكن مدينة الهفوف قاعدة الاحساء .

شغل منصب العالم الديني في القرية المذكورة ، وعرف بالورع والزهد والتقوى ، والمهابة عند الناس .

لم يخلّف من الذكور غير الوالد ـ رحمهما الله تعالى ـ

ترجم له الحاج محمد علي بن أحمد التاجر البحراني في كتابه (منتظم الدرّين في أعيان الحسا والقطيف والبحرين) ، قال : «سلطان بن عبد الله آل علي العمراني الاحسائي : العالم الفقيه النبيه الكامل الشيخ سلطان بن عبد الله آل علي العمراني الاحسائي ، هو من بيت علم وفضل ، ربما أدرك فجر القرن الرابع عشر .

له مسائل إلى العلامة الشيخ أحمد بن الشيخ صالح بن طعّان البحراني أجابه عليها ، ويسميه فيها بأخي»[1] .

وترجم له أيضاً الحاج جواد آل رمضان الاحسائي في كتابه (مطلع النيرين في ذكر أعلام الحسا والقطيف والبحرين) ـ مخطوطة مؤلفه ـ قال : «سلطان بن محمد آل عبّاد الفضلي الاحسائي : العالم الفاضل الفقيه الجليل الورع التقي الشيخ سلطان بن محمد بن عبد الله بن عبّاد آل علي الفضلي نسبة إلى فضل بن ربيعة الطائي المولود في حدود سنة ١٢٦٢ والمتوفى سنة ١٣٢٠ هـ .

أحد فضلاء الأحساء في صدر القرن الرابع عشر الهجري ، ذكره المرحوم التاجر في كتابه بقوله : «العالم الفقيه النبيه الكامل الشيخ سلطان بن عبد الله آل علي العمراني الأحسائي ، هو من بيت علم وفضل ، ربما أدرك فجر القرن الرابع عشر ، له أسئلة إلى العلامة الشيخ أحمد بن صالح بن طعان البحراني أجابه عليها ، ويسميه فيها بأخي» .

وذكره حفيده الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي الاحسائي في الفصل الذي كتبه عن الاحساء في (دائرة المعارف الإسلامية الشيعية) عند كلامه على علماء الاحساء ، فقال في وصفه ما نصه : «الشيخ سلطان بن محمد بن عبد الله بن عباد آل علي الفضلي ، ولد في الحوطة من قرى الاحساء حدود

(١) مخطوطة الحاج جواد آل رمضان الاحسائي بخط يده في سنة ١٤٠١ هـ .

سنة ١٢٦٢ هـ وتوفي فيها سنة ١٣٢٠ هـ ، كان من العلماء الأتقياء ، تلمذ على السيد هاشم الموسوي والشيخ محمد حسين أبو خمسين . انتهى» .

أمه :

هي السيدة فاطمة بنت السيد مهدي بن السيد أحمد آل عطيفة الكاظمي ، من سدنة روضة الأمامين الكاظمين ـ عليهما السلام ـ .

كانت من المتعبدات الصالحات اللائي يقصدن للدعاء والتبرك بهن .

«وآل عطيفة سادة حسنيون أجلاء في الكاظمية»[1].

ولهم «حق الخدمة في حرم الإمامين ـ عليهما السلام ـ ، وكان فيهم بعض الرؤساء وأركان الدولة»[2] .

ومن فقهاء هذه الأسرة السيد علي بن السيد عطيفة ، كان تلامذة الشيخ مهدي آل كاشف الغطاء والشيخ مرتضى الانصاري في النجف ، والشيخ محمد حسن آل ياسين في الكاظمية .

ومن تلامذته السيد حسن الصدر .

وصفه الشيخ آغا بزرك بقوله : «كان غزير العلم واسع المعرفة والاطلاع ، بارعاً في كثير من العلوم ، معروفاً بالتحقيق في تدريس النحو والمنطق ، والمهارة في الفقه والأصول»[3] .

توفي سنة ١٣٠٦ هـ .

ولادته :

ولد ـ قدس سره ـ في سنة ١٣٠٩ هـ أو سنة ١٣١٢ هـ ، حسبما هو مكتوب على أحد دفاتره الخاصة به ، في قرية الحوطة ، وهي من قرى العمران من الاحساء ، أنشأها جدنا عبد الله بن عبّاد ، وتقع بين قرية العمران الجنوبية وقرية الرميلة ، على طريق قرى الشرق إلى مدينة الهفوف .

نشأته العلمية

دراسته :

بدأ دراسته العلمية الدينية في الأحساء ، فتتلمذ في المقدمات[4] على الشيخ عمران العلي المتوفي سنة ١٣٦٠ هـ ، وكان يسكن قرية العمران الشمالية ، وهو من الفقهاء المجتهدين ، درس في الاحساء

---

(١) أعيان الشيعة ٨/٢٨٩ .

(٢) طبقات أعلام الشيعة ج١ ق٤ ص ١٤٨١ .

(٣) م . ن .

(٤) المقدمات : مصطلح عرفي يطلق في الحوزات العلمية الشيعية على الكتب العلمية التي يدرسها طالب الفقه مقدمة له ، لأن ما فيها من قواعد علمية يستعين بها الطالب والباحث والعالم كوسائل الى معرفة الحكم الشرعي من دليله ومصدره .
وتشمل هذه المقدمات العلوم التالية : الصرف والنحو والبلاغة والمنطق .

لدى الشيخ محمد حسين أبو خمسين ، وفي النجف على السيد أبي تراب الخوانساري والسيد محمد كاظم اليزدي .

وتتلمذ في السطوح[1] على السيد ناصر آل السيد سليمان المتوفي ١٣٥٨هـ ، وكان يسكن مدينة (المبرز) وكان مجتهداً وقد رجع اليه جل اهالي الاحساء بعد وفاة استاذه الشيخ علي الخاقاني المتوفى سنة ١٣٣٤هـ ، وله تعليقة فتوائية مزجية على رسالته العملية ، لا تزال مخطوطة .

ثم ارتحل الوالد ـ قده ـ إلى النجف الأشرف ، وبقي فيها حوالي أربعة وعشرين عاماً .

حضر في (البحث الخارج)[2] على عدة من أعلام عصره في التدريس ، وهم :

أساتذته :

١ ـ الشيخ علي الخاقاني المتوفي سنة ١٣٣٤ هـ .

وصفه السيد الأمين في (أعيان الشيعة ٨/ ١٩١) بالعالم العامل الفقيه الرباني ، وقال : «كان على جانب عظيم من الزهد والورع والتقشف في الدنيا ، رأيناه في النجف الأشرف أيام إقامتنا به وعاشرناه» ، ثم نقل عن الحاج ملا علي بن الميرزا خليل أنه وصفه في إجازته التي كتبها له بـ «فخر المحققين وزبدة المدققين» .

وذكر أنه تتلمذ على الشيخ مرتضى الانصاري ، وعلى الملا علي المذكور ، وعلى السيد الميرزا محمد حسن الشيرازي حين كان في النجف .

وذكر من المؤلفات :

١ ـ شرح اللمعة .

٢ ـ رسائل في تمام أبواب الأصول .

٣ ـ رسائل في مهمات الفقه وقواعده كقاعدة اليد ونفي الضرر وغيرهما .

٤ ـ تعليقة على فوائد الآقا البهبهاني في الرجال ، أضاف إليها فوائد مهمة ، طبعت بعنوان (رجال الخاقاني) في النجف سنة ١٩٦٨ م .

٥ ـ حاشية على المعالم .

٦ ـ وله رسالة عملية ـ كما مرت الإشارة إليها .

---

(١) السطوح : مصطلح عرفي آخر يطلق في الحوزات العلمية الشيعية على المرحلة الدراسية الثانية من الدراسة الحوزوية التي تأتي بعد مرحلة دراسة المقدمات .

وسميت بالسطوح لأن الدراسة فيها اذا قورنت بدراسة المرحلة التي تليها وهي مرحلة البحث الخارج تكون سطحية بالنسبة اليها لعدم اعتمادها منهجياً على بيان الدليل أو التوسع والتعمق في دراسته وبحثه .

وتشمل دراسة بعض الكتب المقررة في الفقه وأصول الفقه .

لمزيد الاطلاع يرجع إلى كتابنا : (دليل النجف الاشرف) .

(٢) البحث الخارج : يمثل المرحلة الثالثة والأخيرة في الدراسة الحوزوية ، ويعتمد على دراسة أدلة المسائل والقضايا الفقهية والأصولية ، والتوسع والتعمق فيها .

وسمي بالبحث الخارج لأن الدراسة فيه تكون خارج الكتب المقررة حيث تعتمد طريقة المحاضرة .

ذكر تلمذة والدي عليه سبطه الأستاذ على الخاقاني صاحب مجلة (البيان) النجفية عندما كتب عنه فيها تحت عنوان (مع العلامة الفضلي) في ص ٥٠٠ من العدد ٦٥ ـ ٦٦ للسنة الثالثة ، حيث قال : «فقد تلمذ على جدي المرحوم الشيخ علي الخاقاني واقتدى برأيه كما اقتدى به معظم أهالي الاحساء والبحرين آنذاك» .

ولكني لم أسمع من سيدي الوالد ـ طاب ثراه ـ ما يؤكد ذلك .

٢ ـ السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي المتوفي سنة ١٣٣٧ هـ ـ الآتية ترجمته ـ حضر عليه أواخر بحوثه الفقهية .

٣ ـ الشيخ علي بن الشيخ باقر الجواهري المتوفي سنة ١٣٤٠ هـ .

حضر في الفقه والأصول على الشيخ محمد حسين الكاظمي والشيخ آغا رضا الهمداني والشيخ محمد طه نجف والميرزا حبيب الله الرشتي والشيخ محمد كاظم الخراساني والشيخ هادي الطهراني ، وفي الرجال على السيد مهدي الهندي .

واعترف له معظم أساتذه ببلوغ درجة الاجتهاد ، وعرف في الأوساط العلمية بالتحقيق ودقة النظر والعمق وسعة الاطلاع ، فقد كان غزير المادة ، صائب الفكر ، متبحراً في الفقه وأصوله ، وكانت حوزته من أشهر وأكبر وأجل حوزات النجف ، حيث يحضرها عدد غير قليل من رجال الفضل المعدودين والمشتغلين النابهين ، وقد تخرج به كثير من العلماء الذين بلغوا الدرجات العالية ونالوا الزعامة والمرجعية كالسيد محسن الحكيم .

وأصبح من مراجع التقليد ، فكتب حاشيته الفتوائية على العروة الوثقى[1] .

تتلمذ عليه في الفقه .

٤ ـ الشيخ مهدي المازندراني المتوفي سنة ١٣٤٢ هـ .

قال السيد الأمين في (أعيان الشيعة ١٠/١٥٧) : «كان عالماً فاضلاً فقهياً أصولياً مدرساً ، تلمذ على الشيخ ملا كاظم الخرساني ، وله رسالة في التصور والتصديق» .

تتلمذ عليه في أصوله الفقه ، والحكمة الالهية .

٥ ـ الشيخ جعفر بن الشيخ عبد الحسن آل الشيخ راضي المتوفي سنة ١٣٤٤هـ .

قال السيد الأمين في (أعيان الشيعة ٤/١٤٤) : «كان عالماً فاضلاً ، حادّ الذهن ، معتد السليقة ، على جانب عظيم من مكارم الأخلاق ، رأس بعد أبيه في النجف ، وأخذ عن علمائها ، وأخذ عنه جماعة ، رأيناه في النجف ، وعاشرناه ، وعاصرناه ، له مؤلف في الفقه ، وهو حفيد الشيخ راضي الفقيه النجفي المشهور» .

والمؤلف الفقهي الذي أشار إليه هو كتابه الموسوم ب ـ(المباني الجعفرية) ، قال الشيخ الطهراني في (الذريعة ١٩/٤٥) : «٢٣٧ ـ المباني الجعفرية في شرح الشرائع ، خرج منه الطهارة في خمس

---

(١) انظر : طبقات أعلام الشيعة ١/١٣٤٩ ، والإمام الحكيم للسيد الحسيني ٣٣ ، ومستدرك معجم المؤلفين ٤٧٥ .

مجلدات تقريباً للشيخ جعفر بن الشيخ عبد الحسن بن الشيخ راضي النجفي المتوفي ١٤ ذي القعدة ١٣٤٤ ، يوجد عند ولده في النجف :

١ ـ من أول الطهارة إلى آخر نواقض الوضوء ، فرغ منه في حياة والده .

٢ ـ في الوضوء ، فرغ منه في ١٣٢٩ .

٣ ـ في الغسل ، فرغ منه ١٣٣٠ .

٤ ـ في التيمم ، فرغ منه ١٣٣٩ .

رأيت الجميع عند ولده الاكبر الشيخ عبد الرزاق»

تتلمذ عليه في الفقه .

٦ ـ السيد أبو تراب الخوانساري المتوفي سنة ١٣٤٦ هـ .

تتلمذ على كل من السيد حسين الكوه كمري المعروف بالسيد حسين الترك ، والشيخ محمد حسين الكاظمي والملا لطف الله المازندراني والشيخ محمد باقر بن الشيخ محمد تقي الاصفهاني صاحب حاشية المعالم ، وغيرهم من مشاهير العلماء[1] .

قال السيد الأمين : «كان محققاً مدققاً فقيهاً أصولياً ، له اليد الطولى في علم الرجال ، واسع الاطلاع فيه جداً . . . . وكان موثوقاً به ، مقبولاً عند الناس ، مقلّداً ، يصلي إماماً في الصحن الشريف في جهة الشمال الشرقي»[2] .

ذكر له في (أعيان الشيعة ٨/ ٣٠) أكثر من ثلاثين مؤلّفاً ، منها :

١ ـ سبيل الرشاد في شرح نجاة العباد ، عشر مجلدات ، طبع منه الصوم والمواريث في طهران .

٢ ـ سلامة المرصاد في حواشي نجاة العباد ، طبعت في النجف .

٣ ـ عقد اللئالي والبواقيت في تحصيل محل المحاذاة للمواقيت .

٤ ـ مناسك الحج .

٥ ـ حاشية على رسائل الشيخ مرتضى الانصاري .

٦ ـ رسالة في حجة الأصول المثبتة .

٧ ـ رسالة في تحقيق الأصل في المتعارضين في الأدلة والأصول والامارات .

٨ ـ الدر الفريد في شرح التجريد .

٩ ـ الفوائد الرجالية .

١٠ ـ البيان في تفسير القرآن .

١١ ـ مصباح الصالحين في أصول الدين .

ترجمة السيد محمد مهدي الاصفهاني برسالة خاصة عنوانها (مواهب الباري في ترجمة العلامة الخوانساري)[3] .

---

(١) أعيان الشيعة ٨/ ٢٩ .

(٢) م . ن .

(٣) الأعلام ٤/ ٣٠ .

٧ ـ الشيخ الميرزا محمد حسين النائيني المتوفي سنة ١٣٥٥ هـ .

تتلمذ على الشيخ محمد باقر بن الشيخ محمد تقي الاصفهاني صاحب حاشية المعالم ، والميرزا محمد حسن النجفي ، والميرزا أبي المعالي ، والشيخ محمد تقي المعروف بآقا نجفي ، والميرزا محمد حسن الشيرازي والميرزا حسين النوري والميرزا محمد تقي الشيرازي .

من مؤلفاته :

١ ـ تنبيه الأمة وتنزيه الملة ، وهو كتاب سياسي ـ باللغة الفارسية ـ يدلل فيه على وجوب إقامة الحياة الدستورية في إيران . «نُشر تعريبه في العدد الخامس من مجلة الموسم» .

٢ ـ حاشية على العروة الوثقى .

٣ ـ رسالة عملية .

٤ ـ رسالة في اللباس المشكوك .

٥ ـ رسالة في التعبدي والتوصلي[1] .

وصفه السيد الأمين بقوله : «كان عالماً جليلاً فقيهاً أصولياً حكيماً عارفاً أديباً متقناً للأدب الفارسي ، عابداً ، مدرساً ، مقلَداً في الأقطار»[2] .

حضر لديه في أصول الفقه .

٨ ـ السيد أبو الحسن الاصفهاني المتوفى سنة ١٣٦٥ هـ .

من أبرز أساتذته : الميرزا حبيب الله الرشتي في الفقه ، والشيخ ملا كاظم الخراساني في أصول الفقه .

«كان علماً من أعلام الدين ، وإماماً من أعظم أئمة المسلمين ، وقد انحصرت الرياسة العلمية الدينية في النجف الأشرف فيه وفي معاصره الميرزا حسين النائيني ، وقلدا في العراق وسائر الأقطار ، ثم انحصرت الرياسة فيه بعد وفاة النائيني سنة ١٣٥٥»[3] .

له رسالتان عمليتان صغرى وكبرى بعنوان (وسيلة النجاة) ، ترجمت إلى الفارسية والتركية وغيرهما .

وله حاشية على العروة الوثقى .

حضر عليه في الفقه .

٩ ـ الشيخ محمد رضا آل ياسين المتوفي سنة ١٣٧٠ هـ .

قال عنه الزركلي في (الأعلام ٦/١٢٧) : «فقيه إمامي ، من أهل الكاظمية في العراق ، من كتبه (بلغة الراغبين في فقه آل ياسين ـ ط) و(مناسك الحج ـ ط) و(ديوان شعر ـ خ) ـ» .

وله أيضاً حواشٍ على العروة الوثقى للسيد اليزدي ، وأخرى على وسيلة النجاة للسيد الاصفهاني .

---

(١) أعيان الشيعة ٦/٥٤ .

(٢) م . ن .

(٣) م . س ٢/٣٣٢ .

كان من الأتقياء الورعين والزهاد المتقشفين ، رجع إليه أهالي الاحساء ومعظم أبناء الخليج الأخضر ، وكثير من أهل العراق والأهواز في التقليد بعد وفاة السيد الاصفهاني .

تتلمذ عليه في الفقه .

١٠ ـ الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء المتوفي ١٣٧٣ هـ ـ الآتية ترجمته ـ تتلمذ عليه في الحكمة وعلم الكلام ، بدرس خاص به .

إجازاته العلمية

أجيز بالاجتهاد من :

١ ـ الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء المتوفي سنة ١٣٧٣هـ .

ترجمه الزركلي في (الأعلام ٦/١٠٦ ـ ١٠٧) بما نصه : «محمد حسين بن علي بن الرضا بن موسى بن جعفر كاشف الغطاء : مجتهد إمامي ، أديب ، من زعماء الثورات الوطنية في العراق ، من أهل النجف ، كان من الكتّاب الشعراء ، الدعاة الى الوفاق بين المسلمين ، انتهت اليه الرياسة في الفتوى والاجتهاد بعد وفاة أخيه (الشيخ أحمد) . .

وكان من أعضاء المؤتمر الاسلامي في القدس سنة ١٣٥٠هـ ، وصنف كتباً كثيرة» .

ونص إجازته له هو :

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمد الله جلت آلاؤه على ما أساغ من نعمه وأجاز ، وصلى الله على محمد وآله مجاز الحقيقة الى الحق وحقيقة المجاز .

نبدي أن جناب عمدة العلماء العاملين ، وقدوة الاتقياء العارفين ، قطب رحى التحقيق ، ومسبار لجة بحر الغور والتدقيق ، مصباح الفضائل في الظلمات ، ومفتاح رتاج باب المشكلات ، شيخنا الأفضل المبجل الشيخ مرزا محسن الشيخ سلطان أدام الله فضائله وفواضله ، هو ممن جد واجتهد في اقتناص حقائق العلوم الدينية ، واستنباط الأحكام المقدسة الشرعية ، من أدلّتها التفصيلية ، من الكتاب والسنة ، حتى حاز أسمى مراتبها ، وأسمى مناصبها ، فأصبح بحمد الله تعالى مصباح هداية ، وايضاح فضل ودراية ، نافذ النظرة ، وقّاد الفكرة ، نقّاد الرأي ، متطلعاً في المعرفة ، متفوقاً في الصفة ، قويم الطرائق ، ملجأالحقائق ، حائزاً أعلى مراتب الورع والتقوى ، فائزاً بأسمى حلل العوارف والمعارف ، ممن لا تعوقه في سيره العظائم ، ولا تأخذه في الله لومة لائم .

فالمأمول من كافة اخواننا المؤمنين ـ أسعدهم الله بسعادة الدارين وفوز النشأتين ـ أن يستضيئوا بأنواره ، ويقتدوا بآثاره ، ويلتمسوا المنايح والمرابح من بركاته ، فانه ـ أيده الله ـ لا يدلهم إلاّ على هدى ، ولا يصدهم إلاّ عن ردى .

ونسأله تعالى كما جعله من إعلام الدين ، ومصابيح اليقين ، أن يؤيده ، ويسدده ، ويسعد به كما أسعده .

ورجائي اليه أن لا ينساني من صالح دعائه ، وجميل تذكاره في أذكاره .
والسلام عليه وعلى كافة اخواني المؤمنين ورحمة الله وبركاته .
حرر في ٧ شعبان سنة ١٣٤٥ محمد الحسين آل كاشف الغطاء

وكان نقش خاتمه الذي ختم به الاجازة : (يا حسين بن علي) .

٢ ـ الشيخ حبيب بن قرين المتوفي سنة ١٣٦٣ هـ .

كان فقيهاً مجتهداً ، ومتكلماً عارفاً ، ومرجع تقليد ، رجع اليه الكثير من أهالي الأحساء والكويت والبصرة وغيرها .

تلمذ في النجف الأشرف على جملة من أعلامها أمثال : شيخ الشريعة الاصفهاني .
وأجيز دراية ورواية من استاذه المذكور شيخ الشريعة ، ومن الشيخ محمد آل عيثان الأحسائي والسيد ناصر السيد هاشم آل السيد سلمان الأحسائي .

وله من المؤلفات :
ـ نعم الزاد ليوم المعاد في اصول الدين وفروعه .
ـ منسك حج [1] .
أجازه باجازتين مطوّلتين [2] .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ثقافته

من المفيد ـ بدءاً ـ أن نتعرف الوسط الثقافي للنجف الأشرف يوم أمّها للدراسة والنهل من معين علوم آل محمد (ع) ، وذلك لما للجو الثقافي من التأثير في تكوين الشخصية العلمية .

عصر الكاظمين :

دخل ـ طيب الله ثراه ـ النجف في عصر الكاظمين (السيد كاظم اليزدي المتوفي ١٣٣٧هـ ، والشيخ كاظم الخرساني المتوفي ١٣٢٩ هـ) .

وتسمية هذا العصر بـ (عصر الكاظمين) للاعتياد من ناحية تاريخية ، عندما يؤرخ لثقافة المراكز العلمية الدينية أن ينسب العصر للعَلَم البارز من العلماء .

ولأن العلمين الكاظمين كانا زعيمي الفتيا في وقتهما (أي مرجعي التقليد) ، وكانا زعيمي التدريس الأعلى (أعني على رأس اساتذة الدراسات العليا) ، تأتي نسبة العصر اليهما بحق .

كانا ـ رضي الله عنهما ـ فرسي رهان في المنافسة على خدمة الحوزة العلمية ، ومن ثم خدمة الدين عن طريق خدمة علوم أهل البيت (ع) التي تبنت النجف تعليمها ونشرها ، فتولى كل واحد منهما أحد مجالي التخصص فيها (وهما الفقه وأصوله) فأصّل فيه وعمّق وركّز ووسّع ، فكان أن برّز السيد في تدريس الفقه ، وبرّز الشيخ في تدريس الأصول ، وصار من هذا أن أبرز السيد كتابه الفتوائي (العروة

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية الشيعية ٣/١٠٢ ، وانظر : مقال السيد هاشم السيد محمد الشخص في الفتح بعنوان (الشيخ حبيب بن قرين) ، والكشكول وكذلك مطلع النيرين للحاج جواد آل رمضان الاحسائي .
(٢) ارجأنا نشر نصوص هذه الاجازات ـ الواردة في الاصل ـ لضيق المجال في هذا العدد «الموسم» .

الوثقى) فجمع فيه من الفروع الفقهية ما لم يجمعه متن فقهي قبله ، ونظّمه تنظيماً يسّر الرجوع اليه دونما معاناة ، فأصبح ـ لهذا ـ مدار التعليق والشرح والتدريس .

فأوقف ـ إلى حدٍ ـ الاعتماد في المجالات المذكورة على المتون التي سبقته ، أمثال : (نجاة العباد) لصاحب الجواهر و (التبصرة) للعلامة الحلي و (الشرائع) للمحقق الحلي و (النهاية) للشيخ الطوسي .

حتى صار جل مراجع التقليد بعده يعلق عليه فتوائياً بما يوافق رأيه ويخالف رأي مؤلفه في مواضع الاختلاف والخلاف ، وجل اساتذة البحث الخارج (الدراسات الفقهية العليا) يعتمده الاساس في الشرح والبحث .

ولا يزال حتى الآن يحافظ على هذا المستوى من الرجوع اليه في الحوزة العلمية النجفية .

ولمعرفة ما ألف عليه من شروح استدلالية ، ومن حواشي وتعليقات فتوائية مطبوعة يرجع الى الجزء الأول من كتابنا (دروس في فقه الامامية) ـ فصل : مراجعه ـ .

وصار منه أيضاً أن أبرز الشيخ كتابه في أصول الفقه (كفاية الأصول) ، وامتاز على ما تقدمه من كتب اصولية ، وتميز منها ، بالاختصار والتبويب واضافة ما جد من نظريات ونظرات في هذا العلم .

فأصبح كرصيفه (العروة) مدار التعليق والشرح والتدريس ، فبلغت تعليقاته والشروح عليه أكثر من أربعين كتاباً .

وكما كان منبر درس كل واحد من هذين العَلَمين مجمعَ وملتقى طلاب الفقه واصوله ، وفيهم من المجتهدين العدد الوفير[1] ، كانت زعامتهما المرجعية منتهى ما وصلت اليه الزعامة الامامية حيث عمت جميع الشيعة الامامية في مختلف بلدان العالم .

هذا كله وأمثاله ، مما ساعد على أن ينبغ العديد من الأعلام في مختلف حقول المعرفة الدينية ، وبخاصة في مجالي الفقه واصوله ، وكوّن الجو الثقافي في الفاعل الذي يرسل هيمنته على كل من يعيش تحت ظله وفي وسطه العلمي .

وقد امتد عصرهما حوالي نصف قرن ، من سنة ١٣٠٠ هـ الى سنة ١٣٥٠ هـ تقريباً .

وكان من أعلامه :

- الميرزا حبيب الله الرشتي المتوفي سنة ١٣١٢ هـ .
- الشيخ محمد الشربياني المتوفي سنة ١٣٢٢ هـ .
- آغا رضا الهمداني المتوفي سنة ١٣٢٢ هـ .
- الشيخ محمد طه نجف المتوفي سنة ١٣٢٣ هـ .
- الشيخ محمود ذهب المتوفي سنة ١٣٢٤ هـ .
- الميرزا حسين الخليلي المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ .
- الشيخ عبد الله المازندراني المتوفي سنة ١٣٣٠ هـ .
- الشيخ علي رفيش المتوفي سنة ١٣٣٤ هـ .
- الشيخ علي الخاقاني المتوفي سنة ١٣٣٤ هـ .
- شيخ الشريعة الاصفهاني المتوفي سنة ١٣٣٩ هـ .

---

(١) ذكر الشيخ آغا بزرك في مقدمته لكتاب (مستدرك الوسائل) أن عدد الذين كانوا يحضرون درس الشيخ الخراساني أكثر من خمسمائة بين مجتهد أو قريب من الاجتهاد .

ـ الشيخ علي بن الشيخ باقر الجواهري المتوفي سنة ١٣٤٠ هـ .
ـ الشيخ مهدي المازندراني المتوفي سنة ١٣٤٢ هـ .
ـ الشيخ أحمد آل كاشف الغطاء المتوفي سنة ١٣٤٤ هـ .
ـ الشيخ جعفر آل الشيخ راضي المتوفي سنة ١٣٤٤ هـ .
ـ السيد أبو تُراب الخوانساري المتوفي سنة ١٣٤٦هـ .
ـ الشيخ عبد الله المامقاني المتوفي سنة ١٣٥١ هـ .
ـ الشيخ محمد جواد البلاغي المتوفي سنة ١٣٥٢ هـ .
وغيرهم[1] .

التقى المترجم هذا الجو الثقافي الرائع أول ما دخل النجف الأشرف ، والذي يعد ـ بحق ـ من عصور النجف الزاهرة ، والحافلة بالعلم والعلماء ، فكان له تأثيره في نفسه ، مما حفزه ويزخم أن يذهب مجدّاً في تحصيله ، مخلصاً في طلبه .

ويرجع هذا الى أن هكذا أجواء يكون لها التأثير البعيد والعميق في النفوس الموهوبة الراغبة في التعليم والمتطلعة الى أن تكون من الشخصيات العلمية في حدود ما رسمت وما كتبه الله تعالى لها .

غير أنه في أول أيام وصوله الى النجف كان يواصل دراسة مقررات السطوح ليكملها تمهيداً لحضور البحث الخارج .

وبعد أن أكمل قراءة مقررات مرحلة السطوح الدراسية ، حضر في هذا العصر للدراسة العليا (البحث الخارج) على الأساتذة التالية اسماؤهم :

ـ السيد محمد كاظم اليزدي (ت ١٣٣٧ هـ)
ـ الشيخ علي بن الشيخ باقر الجواهري (ت ١٣٤٠ هـ)
ـ الشيخ مهدي المازندراني (ت ١٣٤٢ هـ)
ـ الشيخ جعفر آل الشيخ راضي (ت ١٣٤٤ هـ)
ـ السيد أبو تراب الخوانساري (ت١٣٤٦هـ) .

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ مقرباً عند استاذه آل صاحب الجواهر ، فقد اعتمد عليه هو وزميله في الدرس الشيخ رضا الغراوي[2] ، في المساعدة على اعداد حاشيته على العروة الوثقى وفق مباني المصنف الاجتهادية (منهجه في الاستدلال) ، وتحت اشرافه وبمراجعته .

---

(١) انظر : دليل النجف الاشرف ٤٨ ـ ٥٠

(٢) الشيخ محمد رضا بن قاسم بن محمد بن أحمد بن عيسى الغراوي النجفي المولود سنة ١٣٠٣هـ والمتوفي سنة ١٣٨١هـ .
من علماء النجف وأدبائها الكتّاب الشعراء ، له عدة مؤلفات ، طبع منها :
١ ـ البضاعة المزجاة (في الأخلاق والمواعظ والسير) في ثلاثة أجزاء .
٢ ـ سعادة الأنام .
٣ ـ نماذج من شعره ، نشرها علي الخاقاني في (شعراء الغري) ـ ٨/٤٠٩ ـ ٤١٧ .

وكذلك كان مقرباً عند استاذه آل الشيخ راضي ، مما وثق الصلة بينه وبين أسرته آل الشيخ راضي ، وهم من البيوتات العلمية النجفية الرفيعة .

فكان ـ قدس سره ـ ممن يحضرون مجلس الشيخ عبد الرضا آل الشيخ راضي[1] .

وقد تبرع ـ رحمه الله تعالى ـ بفرش المجلس بالحصر الأسل[2] من النوع الذي يصنع في الاحساء ، في القرية المعروفة بصناعته المسماة بـ (القرن) ، وهو من الفرش الغالي الثمن .

ومن الحوادث في هذا العصر التي ذكرها لنا ما يلي :

قال : كان من عادة العلماء وطلاب العلم وأهالي النجف الأشرف الاجتماع ليلة عيد الفطر في مدرسة السيد كاظم اليزدي ، لمعرفة ثبوت الهلال .

وكان من العلماء الذين حضروا مجلسه في سنة من السنوات التي كان يجلس فيها لاستماع شهادة شهود الرؤية السيد ناصر الأحسائي ، وكان معه جمع من الطلبة الأحسائيين ـ وكنت من بينهم ـ

وبعد استماع السيد اليزدي لشهادة الشهود أعلن ثبوت الهلال لديه ، فتوقف السيد ناصر الاحسائي في الأمر لأنه لا يرى حجية الثبوت في حق الآخرين ، فطلب مني أن أدنوا من السيد اليزدي وأطلب منه أن يحكم بالهلال ، فاقترب منه وطلبته أن يحكم بالهلال لأن من العلماء الحاضرين في هذا المجلس من لا يرى حجية الثبوت في حق الغير ، فحكم ـ أعلى الله مقامه ـ بالعيد .

عصر النائيني والاصفهاني :

وبعد عصر الكاظمين كان عصر الميرزا النائيني والسيد الاصفهاني ـ الذين تقدمت ترجمتهما في اساتذته ـ حيث توحدت فيهما زعامة الحوزة ، ورئاسة الطائفة ، بعد تفرقها بعد وفاة السيد اليزدي .

وتميز عصرهما بنضج علم أصول الفقه من حيث المنهج على أيدي اساتذة المدارس الأصولية الثلاث المتعاصرة ، وهي :

---

(١) قال السيد الأمين في ترجمته (الأعيان ١٢/٨) : «ولد في بيته العلمي الرفيع بالنجف ، فتلقى معارفه في معاهدها ، فكان من علمائها وأعيانها وقاد المجاهدين في جبهة لواء المنتفك ، وأبلى فيها بلاءاً حسناً .

توفي سنة ١٣٥٦هـ عن عمر لم يتجاوز الستين» .

ويسمي النجفيون المجلس : (البراني) ، والبراني ـ في اللغة ـ خلاف (الجواني) ، نسبة الى البر والجو ، أي خارج البيت وداخله ، على غير قياس ، ومنه حديث سلمان : (من أصلح جوانيه أصلح الله برانيه) ـ انظر : محيط المحيط : مادة برر ـ ويسمون الجواني : (الدخلاني) نسبة الى الداخل ، على غير قياس أيضاً ، فتسمع أحدهم يقول : (أنا ذاهب الى براني فلان) أي الى مجلس فلان .

(٢) الأسل Juncus acutus : نبات من الفصيلة الأسليةJuncaceae له أغصان كثيرة دقاق بلا أوراق ، سوقه خضراء ذات أطراف حادة غير متفرعة ، ولا خشب لها ، ينبت في الماء ، أو في الأرض الرطبة بجواره ، وتصنع منه الحصر والغرابيل .

ويسمى أيضاً : الغَرَز .

ومن أصنافه : الغضور ، وهو معروف في مصر بالسمار ـ المعجم الكبير : مادة أسل .

١ ـ مدرسة الشيخ محمد حسين الكمباني الاصفهاني (ت ١٣٦١ هـ) .

وعرفت بطابعها الفلسفي ، ويرجع هذا الى أن الشيخ الاصفهاني كان بالاضافة الى تخصصه في الفقه واصوله حكيماً متألهاً ، هيمنت الفلسفة الالهية بابعادها الثقافية المعروفة على آفاقه الذهنية ومنطلقات تفكيره .

٢ ـ مدرسة الشيخ ضياء العراقي (ت ١٣٦١ هـ) .

وعرفت بطابعها العلمي الذي نأى بها عن اخضاع الظواهر العلمية لمبادىء الفلسفة ونظرياتها ، وذلك للفرق بين العلم والفلسفة ، وأصول الفقه ـ كما هو واضح ـ علم لا فلسفة .

ومن هنا عُدَّ الشيخُ العراقي رأسُ هذه المدرسة ـ وبحق ـ المعلمَ الأولَ لعلم الأصول الامامي .

وقد خرّج منبره أعلام هذا الفن في هذا العصر .

٣ ـ مدرسة الميرزا محمد حسين النائيني (ت ١٣٥٥ هـ) .

وعرف بطابعها الجامع بين الطابعين الفلسفي والعلمي ، والسائر بين بين .

وبمقتضى نضج المنهج طَرَحَتْ هذه المدارس الثلاث المتعاصرة ، كثيراً من الفكر الاصولي القديم ، وأضافت كثيراً من الفكر الاصولي الحديث .

وقد امتدت مدة هذا العصر ربع قرن تقريباً ، من سنة ١٣٥٠ هـ الى سنة ١٣٧٥ هـ ، عند استتباب رئاسة السيد الحكيم .

وكان من أبرز أعلام هذا العصر ـ بالاضافة الى الاربعة المذكورين :

ـ الشيخ محمد رضا آل ياسين (ت ١٣٧٠ هـ)
ـ الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣ هـ)
ـ السيد ميرزا عبد الهادي الشيرازي (ت ١٣٨٢ هـ)
ـ الشيخ عبد الكريم الجزائري (ت ١٣٨٢ هـ)
وغيرهم .

وقد حضر سماحة الوالد في هذا العصر استكمالاً للدرس الأعلى وامتداداً لحضوره السابق في العصر السابق :

ـ بحث الميرزا النائيني في أصول الفقه .

ولعل اختيار الوالد له من بين زميليه الشيخين العراقي والاصفهاني ، يرجع الى أنه ـ أعني والدي ـ عربي حكيم ، والعروبة الى العلوم أقرب وأميل منها الى الفلسفة ـ كما هو تاريخ رجالاتها العرب ـ والحكمة فلسفة تجر صاحبها اليها جراً ، وبطبيعة الحال ان من يقع بين هاتين القوتين يكون بين بين ، وهوى الجمع بين الضرتين .

ـ بحث السيد الاصفهاني في الفقه .

ـ بحث الشيخ محمد رضا آل ياسين في الفقه .

وقد عرف الشيخ آل يس بأنه ذو ذوق عربي عرفي غير صناعي ، وعرف أنه لم يقرأ (الكفاية) في درس السطح الاصولي ، ولعل هذا يرجع الى ذاك .

وربما كان هذا هو سر اختيار الوالد له ، وملازمة درسه ، وحضور مجلسه خارج الدرس ، حتى كانت العلاقة بينهما من حيث الوثاقة اكثر من علاقة درس .

ـ الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في الحكمة وعلم الكلام .

نتائج :

ثم وبعد أن استوفى بغيته من الدرس ، وحقق هدفه من الالتحاق بالحوزة العلمية النجفية ، وهو بلوغه درجة الاجتهاد في الفقه ، كرَّ عائداً الى وطنه الاحساء .

ومن معرفتنا لمنهج الدراسة الدينية في النجف نعرف مجالات ثقافته ، فقد كان ـ كما رأينا ـ متخصصاً بالفقه الامامي الى درجة الاجتهاد .

وكذلك الشأن في اصول الفقه لأنه منهج علم الفقه ، فلا بد لمن يجتهد في الفقه من أن يجتهد فيه لينطلق في استخراج الاحكام الشرعية من مصادرها وفق مبانيه الاصولية ، فالاجتهاد بالفقه يعني ـ ضمناً ـ الاجتهاد باصول الفقه .

وكان طابع فقاهته عربياً يؤكد على فهم النص من خلال فهمه للغة العربية ، وهو ابن جزيرتها وباديها وبيئاتها الفصحى ، ويعتمد الذوق العرفي في معرفة الموضوع وملابسات الحكم ، فلم يكن الفقيه الصناعي ـ كما يعبرون في لغة الحوزة ـ وانما كان فقيهاً عربياً عرفياً .

يضاف اليه :

أنه كان العالم المتضلع فيما درسه من مقدمات كالصرف والنحو والبلاغة والمنطق ، والمتقن لمشكلاتها ، والمستحضر لحلولها .

كشف عن هذا طريقة تدريسه لها مع طلابه ، وطريقة طرحها ،

واثارة النقاش فيها ، وادارة الحوار حولها في مجالس العلماء ومحاضر الطلبة ، الظاهرة المميزة التي عرف بها ـ كما سأبينها فيما بعد إن شاء الله تعالى ـ.

وكان متأثراً الى حد بعيد في مادة أصول الفقه ومنهجه باستاذه الميرزا النائيني ، مع ميل يسير الى بعض آراء الشيخ الكمباني الاصفهاني .

ومن الطبيعي ـ منهجياً ـ أن المتخصص في الفقه يكون ذا ثقافة عالية في علمي الحديث والرجال ، وهذا ما عرفناه منه في معالجاته للمسائل الفقهية ، ومناقشاتها ، وابداء الملاحظات عليها ، في مجالسه المختلفة والمتعددة .

وكان الى جانب فقاهته متخصصاً بالحكمة الالهية (الفلسفة الاسلامية) ، وعلم الكلام ، متأصلاً في فهم نظرياتهما ، متعمقاً في سبر أغوارها .

أبان عن هذا مناقشته الفكرية ، وحواراته التي كانت تدور بينه وبين زملائه وأقرانه ، وقد حضرت غير قليل منها ، واستمعت لما كان يدور فيها ، وبخاصة مجالسه :

ـ مع السيد محمد جواد الطباطبائي التبريزي في النجف الأشرف ، في برائي الخطيب السيد حسن القبانجي صهر السيد المذكور .

ـ ومع الشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي في برانيه الخاص في النجف الأشرف أيضاً ، عندما كان الوالد يقدم اليها من البصرة للزيارة وتجديد العهد بها .

ـ ومع الشيخ محمد طاهر آل شبير الخاقاني في منزلنا بالبصرة ، وفي منزله بالمحمرة .

وكل واحد من هؤلاء الثلاثة كان علماً من أعلام علم الكلام والحكمة الالهية .

وقد سمعت منهم ـ قدست أسرارهم ـ يشهدون له بالأصالة والعمق فيها .

وقد قرأنا ـ فيما مرّ ـ أنه تلقى الحكمة الالهية من الشيخ آل كاشف الغطاء بدرس خاص به ، ومن بحث الشيخ المازندراني .

وقد ظهر لي أنه متأثر في الحكمة بفلسفة صدر المتألهين والشيرازي صاحب الأسفار الأربعة .

أما ثقافته العامة فكانت تتمثل ـ في الغالب ـ في إلمامه بتاريخ السيرة النبوية وسير الأئمة الأثني عشر ، الى قضايا تاريخية عامة اخرى غير محدودة .

وتتمثل أيضاً في التفسير ، فقد قرأ كتاب (مجمع البيان في تفسير القرآن) للطبرسي كله قراءة تدبر وتمعن ، فهضمه وتمثله ، ولم يفارق مراجعته ، حتى كفّ بصره في أواخر عمره الشريف .

وكان يتذوق النصوص الأدبية ، شعرية ونثرية ، ويجيد قراءتها برواء وصفاء ، إلاّ أنه لا يقوى على نظم الشعر .

أما كتابة النثر الفني فتأتي منه في حدود ضيقة ، ويرجع هذا الى انصرافه وتفرغه الكامل للعلم ، وتحقيق بغيته من التخصص بالفقه وأصوله والحكمة الإلهية .

وربما رجع هذا الى العرف السائد في الأوساط الدينية ، والذي يمثله قول الامام الشافعي :

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنتُ اليومَ أشعرَ من لَبيدِ

ويمكننا حصر روافد ثقافته في الامور التالية :

١ ـ الدراسة : وقد مر بيانها تفصيلياً .

٢ ـ المجالس العلمية : وهي على نوعين :

أ ـ المجالس التي كانت تعقد بشكل دوري في بيوت العلماء ، سواء في النجف أم في غيرها .

فقلما تخلو هذه المجالس من طرح مسألة علمية أو قضية ثقافية ، وإثارة البحث فيها وحولها .

وأمثال هذه الاثارات العلمية تفيد تبادل الآراء والأفكار بين الحاضرين والمشاركين في الحوار والبحث .

ومن هذه المجالس التي كان يرتادها في النجف الأشرف :

ـ مجلس الشيخ عبد الرضا آل الشيخ راضي ، ويعقد يومياً .

ـ مجلس السيد محمد سعيد الحكيم ، ويعقد صباح كل يوم .

ـ مجلس الشيخ راضي نصار ، وكان يعقد ليلة الخميس من كل اسبوع لقراءة التعزية الحسينية .

ب ـ المجالس التي هي لقاءات عفوية أو مناسبات ، كالتي أشرت اليها من لقاءاته مع السيد التبريزي والشيخ آل راضي والشيخ الخاقاني .

وكذلك كانت له لقاءات مطولة ومتكررة مع الشيخ حبيب آل قرين في اقامته بقرية (گردلان)من ناحية شط العرب بالبصرة .

ولقاءات اخرى بالبصرة مع الشيخ مهدي الحجار[1] في مقر اقامته بالمعقل ، أو في مقر اقامة الوالد بقرية (صبخة العرب) ، وكانت تتسم هذه اللقاءات ـ في الغالب ـ بالطابع الأدبي لما عرف به الشيخ الحجار من هواية أدبية وتعهدٍ مستمر لقضية الأدب والأدباء .

ولقاءات سنوية كانت له مع السيد محمد العلي[2] ، وذلك عندما كان الوالد يمر بالأحساء وهو في طريقه الى حج بيت الله الحرام ، يبدأ زيارته الأحساء بزيارة السيد المذكور في مقر اقامته بالمبرّز ، ثم يصحبه معه الى قرية الحوطة ، فيمكث معه مدة اقامته فيها وفي قرى العمران ، وفيها تدور بينها المدارسة والمناقشة لكثير من المسائل العلمية فقهية واصولية ، وغيرها .

وغيرها من لقاءات كثيرة لا يأتي عليها في هذه العجالة حصر .

٣ ـ المطالعة :

كان ـ رحمه الله تعالىٰ ـ ملازماً للقراءة والمراجعة والاستذكار .

كان في كل يوم بعد أن يفرغ من صلاة الصبح وتعقيباتها ، وتناول طعام الافطار ، يتناول كتاباً معيناً من مكتبته الخاصة ، قد أعده للمراجعة أو المطالعة ، فيقرأ فيه حتى يقترب وقت الظهر .

واستمر على هذا حتى بعد أن كفّ بصره وبقي له منه بصيص ، فقد كان يستعين مع النظارة الطبيّة بالمكبرة ، وكل هذا لئلا يفارق القراءة وينقطع عن صحبة الكتاب .

---

(١) الشيخ مهدي بن داود بن سلمان الحجار المتوفي سنة ١٣٥٨هـ .

«كان جده سلمان وهابياً ينتمي الى فخذ الشيخان من عشيرة الجبور العراقية الساكنة في ناحية القاسم وفي الاسكندرية ، وكان أجداده ممن سكن الاسكندرية ، ثم انتقل سلمان الى الكوفة سنة ١٢٤٩هـ وعمل هناك فلاحاً ، وفي هذه الفترة انتقل الى المذهب الشيعي .

وكان (أبوه) داود أمياً يشتغل باستخراج الأحجار من أنقاض الحيرة القديمة ، وبيعها في الكوفة ، ومن هنا لقب بالحجار» ـ الاعيان ١٠/١٤٧ .

وكان من أعلام النجف في الادب ، ومن أبرز رواد النهضة الأدبية الحديثة فيها ، أشار بعضهم الى نشأته الأدبية بقوله : «بدأت قريحته تتفتح عن أشعاره الأولى ولما يبلغ الحلم واستهوته النوادي الأدبية والحفلات العلمية والشعرية في النجف الأشرف ، ويمكننا أن نعتبر تلك النوادي مدرسته الأولى ، وشاعت جوانب ثقافته فأخذ يشترك في مطارحات الشعراء وأحاديث الأدباء ، وقد لمع نجمه وأخصبت شاعريته» .

وقال في الخاقاني في (شعراء الغري) : «عالم فقيه أديب ، شاعر ، أصولي ضليع وهو بحق مكوّن جيل خاص» .

(٢) السيد محمد بن السيد حسين العلي آل سلمان المتوفي سنة ١٣٨٨هـ .

كان فقيهاً مجتهداً ، ووكيلاً دينياً مطلقاً .

شغل منصب القضاء الجعفري في الأحساء بعد أبيه .

تتلمذ في النجف على الميرزا النائيني والسيد أبو الحسن الاصفهاني والشيخ محمد رضا آل ياسين ، واجيز منه بالاجتهاد .

انظر : دائرة المعارف الاسلامية الشيعية ، مادة : الاحساء .

آثاره العلمية

يتمثل ما خلفه ـ رحمه الله تعالىٰ ـ من أثر علمي وثقافي في المجالات التالية :

١ ـ مجال التدريس :

ويتمثل هذا الأثر في مشاركته بتدريس العلوم الشرعية ومقدماتها ، في النجف الأشرف ، والبصرة ، وسيهات ، لجمع من طلبة العلوم الدينية ، ومنهم من أصبح من العلماء الكبار والخطباء البارزين .

وقد أشير في تراجم بعض تلامذته الى هذا ، كالذي جاء في ترجمة الخطيب الحسيني الشيخ عبد الحميد الهلالي من كتاب (خطباء المنبر الحسيني) للمرجاني ، وغيره .

٢ ـ مجال المحاضرات العامة :

ويتمثل هذا الأثر في ما كان يلقيه في مجالسه وغيرها من موضوعات ثقافية عامة. وكان هذا ـ في الغالب ـ في البصرة والاحساء وسيهات .

٣ ـ مجال التأليف :

خلف ـ قده ـ النتاج التالي :

١ ـ إجازته للشيخ حسين بن الشيخ فرج العمران القطيفي ، وهي إجازة دراية .

٢ ـ إجازته للشيخ محسن المعلم الجارودي القطيفي ، وهي إجازة رواية .

٣ ـ بحوث متفرقة في الفقه الاستدلالي واصول الفقه والحكمة الالهية .

٤ ـ رسالة في كيفية وأعمال حج التمتع .

٥ ـ رسالة في آل عباد .

٦ ـ عصمة القرآن من الزيادة والنقصان .

٤ ـ آراؤه العلمية :

لكثرة لقاءاتي العلمية به للاستفادة من تحليلاته وتوجيهاته وآرائه أحفظ شيئاً من آرائه العلمية في بعض المسائل ، منها :

أ ـ ذهابه الى أن النية في الأعمال العبادية تتمثل في الداعي المحرك للعبد الى القيام بالفعل العبادي . وهو رأي مشهور فقهائنا .

وقد أشرت الى هذا في كتابي (دروس في فقه الامامية ـ بحوث تمهيدية) .

ب ـ قوله بنجاسة الكتابيين ، وأيضاً هو قول مشهور فقهائنا .

جـ ـ تجويزه الاحرام من جدة بالنذر على اعتبار أن من لم يمر بأحد المواقيت الخمسة التي وقّتها رسول الله (ص) منها بالنذر ، لأنه احرام مما قبل الميقات .

وعلى هذا الرأي غير واحد من فقهائنا ، منهم السيد محسن الحكيم .

ء ـ يذهب الى أن قرن المنازل هو الموضوع المعروف الآن بـ (السيل الكبير) الواقع على طريق الطائف ـ الحوية ـ مكة المكرمة .

وقد ذكرت هذا في بحثي عن تحديد موقع قرن المنازل .

هـ ـ يرى أن الزوجة لا ترث من تركة زوجها المتوفي إلاّ من العروش وهو الرأي المشهور لفقهائنا .

و ـ يذهب الى القول بالنظرية الكلامية المعروفة بنظرية الواحد لا يصدر عنه إلاّ واحد . ويصححها بنظرية العقول الطولية المعروفة في الحكمة الالهية .

ويذهب الى هذا الرأي غير واحد من علمائنا ، منهم :

ـ الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في كتابه (الفردوس الأعلى) .

ـ السيد محمد حسين الطباطبائي في كتابيه (بداية الحكمة) و(نهاية الحكمة) .

ز ـ ذهابه الى القول بأن علم الامام إرادي .

وهو رأي غير واحد من علمائنا أيضاً ، منهم السيد أبو القاسم الخوئي فقد قال بهذا في كتابه (البيان في تفسير القرآن) .

الى غيرها مما يطول البحث بذكرها .

في الاحساء

قلت ـ فيما تقدمه ـ إن الوالد ـ قدس الله روحه ـ عندما أنهى دراسته العليا في النجف الأشرف ، وحقق هدفه بالحصول على درجة الاجتهاد ، قفل راجعاً الى بلاده الاحساء ، ليقوم بوظيفة العالم الديني فيها ، ونزل بين أهليه في قرية الحوطة ، وقدموه لإمامة الجماعة في مسجد والده المعروف بينهم بـ (جامع شيخ سلطان) ، والتفوا حوله يعضدونه في مهمته الدينية من التوجيه والارشاد وما اليهما .

وأبرز علماءالاحساء آنذاك ، هم :

ـ السيد ناصر الموسوي في مدينة المبرّز[1] .

ـ الشيخ محمد الخليفة ، في مدينة المبّرز أيضاً[2] .

ـ الشيخ موسى ابو خمسين ، في مدينة الهفوف[3].

ـ الشيخ عمران السليم ، في قرية العمران الشمالية .

---

(١) السيد ناصر بن السيد هاشم آل السيد سليمان (ت ١٣٥٨ هـ) .

كان فقيهاً مجتهداً وأديباً شاعرا ومرجع تقليد ، تلمذ في الاحساء على والده وعلى الشيخ محمد آل عيثان ، وفي النجف على السيد عدنان الغريفي والشيخ محمد طه نجف وشيخ الشريعة الاصفهاني والشيخ علي الخاقاني والميرزا حسين الميرزا خليل وآغا رضا الهمداني والملاهادي الطهراني والشيخ محمود ذهب والسيد محمد كاظم اليزدي .

وأجيز بالاجتهاد والرواية من شيخ الشريعة الاصفهاني والشيخ مهدي المازندراني والشيخ ضياء العراقي والسيد ابي تراب الخراساني .

(٢) الشيخ محمد بن الشيخ حسين الخليفة (ت ١٣٤٨ هـ) .

من الفقهاء المجتهدين ، تتلمذ في الاحساء على السيد هاشم الموسوي وفي النجف على شيخ الشريعة الاصفهاني والشيخ محمد طه نجف والشيخ علي الخاقاني ، وأجيز منهم بالرواية والدراية .

(٣) الشيخ موسى بن عبد الله آل ابي خمسين (ت ١٣٥٣ هـ) ، تتلمذ في النجف على السيد ابي تراب الخوانساري والشيخ حسن مطر الخفاجي وشيخ الشريعة الاصفهاني ، وأجيز منهم بالرواية والاجتهاد .

وكان جل عوامها أصوليين يرجعون في أمور تقليدهم الى مراجع التقليد في النجف الأشرف كالميرزا النائيني والسيد الاصفهاني وقليل من الشيخية يتركز في مدينة المفوف .

وكانوا يرجعون في امور دينهم لآل الاسكوئي .

ورأس آل الاسكوئي يومذاك الميرزا موسى الاسكوئي القرجه داغي نزيل كربلاء المقدسة ، واليه كان تقليدهم .

ومن المعلوم ـ اجتماعياً وسياسياً ـ ان من العوامل المساعدة على نشر الافكار أن تنطلق من العواصم والمدن الحواضر الى توابعها وما جاورها ، وهذا ما كان من أمر الفكر الشيخي في الاحساء ، حيث أخذ يتحرك داخل المفوف وخارجها ، مما دعا العلماء الاصوليين ، وعلى رأسهم السيد ناصر الموسوي خارج الاحساء حيث راح الفكر الشيخي ينتشر بين الاحسائيين في الكويت الشيخ حبيب آل قرين .

وعندما دخل الوالد الاحساء انضم العنصر الثالث اليهما ، وكان أقوى الثلاثة شوكة ، وأنفذهم في إصابة المرمى ، ويعود هذا الى ما كان يتمتع به ـ رضوان الله عليه ـ من قوة شخصيته التي اتسمت بالشجاعة والجرأة والصراحة ، ومن مكانة عشيرته (آل علي) في الاحساء ، التي كانت لها الهيبة والنفوذ الرئاسي في هذه البلاد .

وقد ألمح الميرزا حسن بن الميرزا موسى الاسكوئي الحائري في كتابه (منظرة الدقائق) الى موقف الوالد والشيخ آل قرين ضدهم وضد فكرهم الشيخي بقوله : (من محسن ومسيء وعدو وحبيب) .

ومن المفيد قبل أن أشير الى ظواهر في هذا الصراع الفكري المذهبي تستحق الوقوف عندها أن أعرض بشيء من الايجاز لنشأة الشيخية : متى ولدت ؟ واين ولدت ؟ والى عهد دخولها الاحساء . ومن اين انتقلت اليها ؟ وعلى يد من انتقلت ؟ والى ما يلابس هذا :

تنقسم الطائفة الامامية في الواقع القائم والمعاش الى ثلاثة فرق ، هي :

١ ـ الاصولية .
٢ ـ الاخبارية .
٣ ـ الشيخية .

وهناك تقسيم آخر يعرب عنه الواقع القائم أيضاً لم يذكره المؤرخون بشكل واضح ، هو انقسام كل فرقة من الفرقتين الاخبارية والشيخية الى قسمين ، وكالتالي :

ـ انقسام الاخبارية :

تنقسم الاخبارية على أساس من الاعتراف بالاجتهاد والتقليد وافكارهما الى القسمين التاليين :

١ ـ **الاخبارية التي تتبع مدرسة البحرين** ، وهي القائلة بالاجتهاد والتقليد ، ومع التقائها والقسم الآخر الآتي في افكار الاجماع والعقل كمصدرين من مصادر التشريع .

٢ ـ الاخبارية التي تتبع مدرسة قرية المؤمنين (آل الميرزا محمد الاخباري المعروفين بأسرة آل جمال الدين) ، وتذهب الى افكار الاجتهاد ، والى افكار التقليد لغير المعصوم ، أي انها تحصر التقليد في الرجوع الى الامام المعصوم ، والفقهاء ـ في رأيها ـ رواة عنه ووسائط بينه وبين مقلديه .

وكل قسم من هذين القسمين يمثل فرقة مستقلة وقائمة بذاتها .

ـ انقسام الشيخية :

وتنقسم الشيخية على أساس من تحديد الطريق الموصل الى الامام المعصوم ، وتلقي المعلومات عنه الى القسمين التاليين :

١ ـ الشيخية الركنية : وهم أتباع الحاج كريم خان بن ابراهيم خان القاجاري المتوفي سنة ١٢٨٨ هـ ، ويقولون بأن الركن الرابع (وهو المرجع الديني النائب عن الامام) يلتقي الامام بشكل مباشر ، ويتلقى عنه المعلومات المطلوبة .

ومن هنا سموا بالركنية .

٢ ـ الشيخية الكشفية : وهم اتباع الميرزا محمد باقر الاسكوئي المتوفي سنة ١٣٠١هـ، ويقولون بان اللقاء بين المرجع الديني النائب عن الامام ، والامام ، يتم عن طريق الكشف .

ولهذا سموا بـ (الكشفية) .

أوضحت هذا لأصحح خطأ وقع فيه الكثيرون حيث يطلقون عنوان (الكشفية) على كلا القسمين ، مع انه مختص بالقسم الثاني .

وكذلك هنا ـ كما في الاخبارية ـ يمثل كل قسم من قسمي الشيخية فرقة مستقلة بذاتها .

وفي ضوئه نقول :

ـ إن الاصولية والاخبارية تتفقان في اصول الدين وفروعه ، وتختلفان في منهج الدراسة الفقهية ، وبتعبير أدق في طريقة استنباط الحكم الشرعي الفرعي من دليله .

ـ ويختلف الاخبارية البحرينية عن الاخبارية الجمالية في الاعتراف بالاجتهاد في الفقه وجواز تقليد الفقهاء ، بينما تذهب الاخبارية الجمالية الى افكار الاجتهاد وحصر التقليد بالامام المعصوم .

وقد رأيت غير واحد من الباحثين ينسبون الى الاخباريين جميعاً فكرة انكار الاجتهاد والتقليد .

وهذا ـ كما رأينا ـ خطأ آخر ينبغي تصحيحه .

ـ تختلف الشيخية عن الاصولية والاخبارية في فكرة الاتصال بالامام ـ الامام المعصوم كما تقدم ـ وفي اشياء اخرى تتعلق بصفات الامام المعصوم وشؤونه ، أمثال : كيفية ولادته ، وحكم دمه وفضلاته ، وعلمه ، وقدرته ، وغيرها مما لا يعنينا ـ منهجياً ـ التعرض له ، لانه ليس من صميم الموضوع .

ـ وتختلف الشيخية الركنية والشيخية الكشفية في كيفية الاتصال بالامام المعصوم ـ كما ألمحت .

الخلاصة :

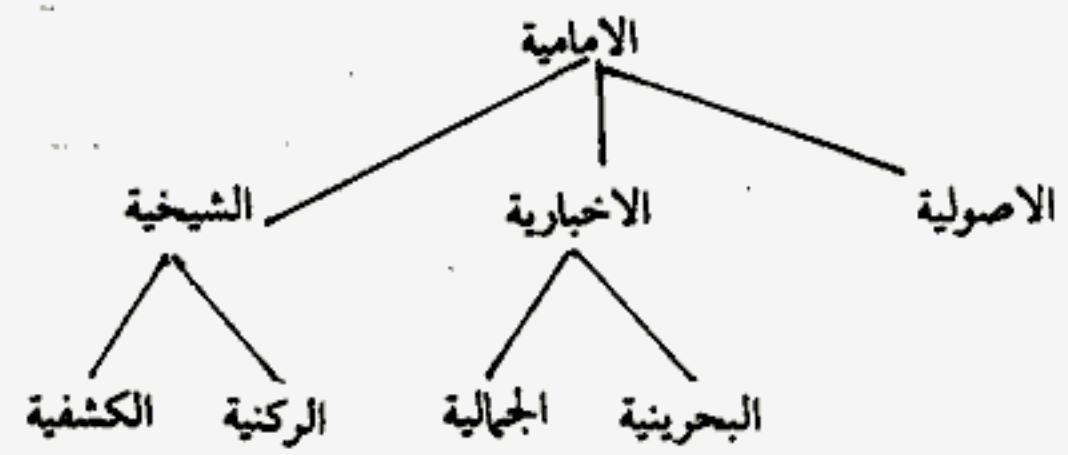

وبعد إعطاء هذه الفكرة الموجزة عن موقع الشيخية كفرقة من فرق الامامية وعلاقتها بها ، ننتقل الى محاولة تعرف ما يرتبط بولادتها ونشؤها :

تنسب الشيخية الى الشيخ احمد بن زين الاحسائي (ت ١٢٤١ هـ)، على اختلاف في واقع ونوعية النسبة :

١ ـ حيث ذهب بعضهم الى أن النسبة اليه لأنه المؤسس لها .

٢ ـ وذهب آخرون الى أن النسبة اليه لا لأنه المؤسس ، إذ ليس هو المؤسس الحقيقي ، وان تلامذته هم المؤسسون الحقيقيون ، بل لأن تلامذته كانوا يعزون أفكارهم اليه ، ويدعون بانها مستقاة منه ، وتمتد جذورها اليه .

والشيخ احمد الاحسائي(١) ـ رضوان الله عليه ـ من الرجالات القلقة تاريخياً حيث احيط واقع شخصيته بشيء غير قليل من الغموض .

فقد أطراه قوم من العلماء وأثنوا عليه الى حد المغالاة ، وقدحه آخرون من العلماء بأفظع القدح ، فوقعت شخصيته الاعتقادية بين غالٍ فيه ، وقالٍ له ، والنص التالي الذي ينقله السيد الأمين في

---

(١) الشيخ أحمد بن زين الدين الاحسائي المتوفى سنة ١٢٤١ هـ ، من عشيرة المهاشير التي تقطن في قرية(المطيرفي) احدى قرى الاحساء الشمالية ، وكانت موطن أسرته ، وفيها ولادته .

«كان من رجالات الشيعة اللامعين الذين أخذوا بأسباب المعرفة والفكر والفلسفة والكلام والفقه والعرفان ، هذا الى جانب تمرسه بالطب والرياضيات والنجوم والكيمياء (الصنعة) وعلم الاعداد والكلمات والحديث والاصول» ـ فلاسفة الشيعة ١١٣ ـ .

وله الاجازة دراية ورواية من السيد بحر العلوم والشيخ جعفر الكبير والميرزا مهدي الشهرستاني والشيخ حسين آل عصفور والسيد علي الطباطبائي صاحب الرياض .

وله من المؤلفات العدد الكبير ، ذكرها بكاملها تلميذه السيد كاظم الرشتي في كتابه (دليل المتحيرين) ، ونقلها عنه السيد الامين في (الاعيان ٢/٥٩١) ، من أشهرها : شرح الزيارة ، جوامع الكلم ، شرح العرشية للملا صدرا ، شرح المشاعر للملا صدرا ، الفوائد في الحكمة والكلام ، شرح الفوائد .

(الاعيان ٢/ ٥٩٠) يلقي شيئاً من الضوء على ما ألمحت اليه ، قال : « قال السيد شفيع الموسوي[1] ، في (الروضة البهية في الطرق الشفيعية) : «الشيخ احمد بن زين الدين الاحسائي : كان من أهل الاحساء ، وتوطن برهة من الزمان في يزد ، ثم انتقل الى كرمانشاه بطلب من محمد علي ميرزا بن فتحعلي شاه القاجاري، وسمعت أنه أعطاه ألف تومان لأداء دينه ونفقة سفره الى كرمانشاه، وجعل له وظيفة في كل سنة سبعمائة تومان ، ثم انتقل الى كربلاء ، وتوطن فيها ، وقام مقامه في كرمانشاه ابنه الشيخ علي .

والشيخ المذكور كان ذاكراً متفكراً لا يتكلم غالباً إلاّ في العلم والجواب عن السؤالات العلمية اصولاً وفروعاً وحديثاً ، وكان مشغولاً بالتدريس ، ويُدرّس (اصول الكافي) و(الاستبصار) ، ولم نر منه إلاّ الخير ، إلاّ أن جمعاً من العلماء المعاصرين له قدحوا فيه قدحاً عظيماً ، بل حكم بعضهم بكفره ، نظراً الى ما يستفاد من كلامه ، من افكار المعاد الجسماني ، والمعراج الجسماني ، والتعويض الى الأئمة ، وغير ذلك من المذاهب الفاسدة ، المنسوبة اليه ، وما رأيت في كلامه ذلك ، إلاّ أن الذين يحكى عنهم استفادوه من كلماته» .

ولا تنحصر مثل هذه المواقف ـ عادةً ـ في سبب واحد ، فربما كان هذا لأنه عرفاني ، والعرفانيون ـ كما هو معلوم ـ بين مدح المادحين وقدح القادحين ، وأوضح مثال لهذا : المولى محسن الكاشاني المعروف بالفيض صاحب (الوافي) و(المحجة البيضاء) و(النخبة في الحكمة العملية) ، والشيخ صدر الدين الشيرازي المعروف بملاصدرا صاحب (الاسفار الاربعة) و(المشاعر) و(الشواهد الربوبية) و(العرشية) ، والحاج سلطان محمد الجنابذي الملقب بسلطان علي شاه صاحب التفسير الموسوم بـ (بيان السعادة) ، وغيرهم ، حيث رفعهم أناس الى أعلى درجات الإيمان ، ونزل بهم آخرون الى أعمق درجات الكفر .

وهذا ـ فيما أرى ـ لأن العرفان يعتمد الاشارة وينأى عن العبارة ، فالاشاريون يكونون معه لأنهم يدركون المشار اليه ، والعباريون يقفون ضده لأنهم يعاملون الاشارة معاملة العبارة ، فعندما لا تفهم الاشارة كما تفهم العبارة يقولون ما يقولون .

وربما ولأنه انتهج في معالجاته الفلسفية منهج الكرماني الاسماعيلي في كتابه (راحة العقل)[2] من

---

(١) السيد شفيع بن السيد علي اكبر الموسوي الجابلقي البروجردي المتوفى سنة ١٢٨٠ هـ .
«كان عالماً فقيهاً أصوليا ، من مشاهير تلاميذ شريف العلماء المازندراني في الاصول ، ومن تلاميذ المولى أحمد النراقي في الفقه .
وكان مقدماً في علمي الحديث والرجال وعلم الاصول ، ومدرساً في بلدة بروجرد ، معظماً عند أهل عصره ، مرجعاً .
يروي عن السيد محمد باقر الطباطبائي والمولى أحمد النراقي .
له من المؤلفات : الاصول الكربلائية ، الروضة البهية في الطرق الشفيعية وهو اجازته لولده السيد علي أكبر ، مناهج الاحكام في مسائل الحلال والحرام» وغيرها ـ انظر : اعيان الشيعة ٧/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠ .

(٢) طبع في بمبيء وأعيد طبعه في القاهرة بتحقيق الدكتور مصطفى حلمي والدكتور كامل حسين ، يعد من أهم كتب = الفكر الاسماعيلي في مجال الاعتقاد .

محاولة الجمع بين الدين والفلسفة القديمة ، بالتوفيق بين الروايات العقائدية ـ وفيها الكثير من الاسماعيليات ـ والنظريات الفلسفية ، وهي محاولةٌ النجاحُ فيها غير مضمون .

وربما لعوامل اخرى غير هذه وتلك .

وعلى أية حال ، فالشيخ احمد الاحسائي حينما أعلن عن أفكاره ـ فلسفية كانت أو عرفانية ـ اثناء رحلاته من الاحساء الى العراق وايران لم يدعُ الى تكوين فرقة عقائدية ، وانما شأنه في هذا شأن كل فيلسوف يرى نفسه صاحب نظرية ، وكل عرفاني يعتقد أنه صاحب طريقة ، يدعو لنشر ذلك .

ولهذا ، فالشيخية لم تنشأ على يديه ولا في عصره ، وانما نشأت ـ كما ذكر غير واحد ـ على يدي تلميذه السيد كاظم الرشتي الذي استغل اسمه ومبهمات عبائره العرفانية والفلسفية لتحقيق ما كان يهدف اليه .

ومما يشير الى هذا ، النصُ المنقولُ آنفاً عن السيد شفيع ، فانه يقول فيه : «واكثر الفساد نشأ من أحد تلامذته السيد كاظم الرشتي ، والمنقول عن هذا السيد مذاهب فاسدة لا أظن أن يقول الشيخ بها ، بل المنقول أن السيد علي محمد الشيرازي المعروف بالباب الذي يدّعي دعاوى فاسدة ، هو سماه الباب ، وكذا سمّى بنت الحاج ملا صالح القزويني قرّة العين ، وان لم يعلم رضاه بما ادّعاه الباب وقرة العين ، والباب صار سبباً لإضلال جمع كثير من العوام والخواص ، وصار سبباً لقتل نفوس كثيرة» .

ومتى ركزنا على ارتباط الباب بالسيد الرشتي وتلقيبه له بالباب الذي هو لقب الدليل الاول في سلسلة الادلاء الاسماعيليين الذين هم أصحاب المراتب في الدعوة الهادية ، المكلفون بحمل أعباء تثقيف النفوس ونشر الدعوة في الأقاليم ، وهم : الباب . الحجة . الداعي المطلق . داعي البلاغ . الداعي المأذون . الداعي المحصور . الجناح . المكاسر[1] . قد يقودنا هذا الى القول بأن للسياسة المعادية دوراً في هذا .

ويتأكد هذا القول اذا عرفنا أن أول من قام بنقل الشيخية من كربلاء الى ايران هو من الأسرة الحاكمة اسرة قاجار ، وهو الحاج كريم خان ـ كما سيأتي بعده مباشرة ـ .

وكذلك اذا ادركنا أن ظهور الشيخية كان مزامناً لظهور البابية ، ومن مصدر واحد هو السيد الرشتي .

ومؤلفه هو حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرماني الملقب بحجة العراقين ، من اكابر دعاة الاسماعيلية وكتّابهم ، كان يشغل منصب داعي الدعاة للحاكم الفاطمي بمصر ، والمسؤول عن الدعوة في المشرق ، عرّفه الاستاذ محمد حسن الاعظمي في مقدمته لكتاب (تأويل الدعائم ٢) ـ ص ٢٠ ـ بقوله : «شخصية علمية خارقة ، يكتنف تاريخ حياتها الغموض ، وفيلسوف كبير ، عاش في عصر علمي زاهر ، وداع جليل ، خط في صفحات الفكر أقوم البحوث وأعمق السطور ، وترك للأجيال عدداً من المؤلفات أقل ما يقال عنها إنها كنز وتراث خالد .

يضع دعاة اليمن وعلماء الاسماعيلية امام اسمه كلمة (سيدنا) مبالغة في تكريمه وتعظيماً لمكانته وقدره ، ويعتبره فلاسفة العالم الاسلامي أعظم عالم انتجته المدرسة الفكرية الاسماعيلية في عهد الدولة الفاطمية .

(١) انظر : الافتخار للداعي الاسماعيلي أبي يعقوب السجستاني (ت ٣٥٣ هـ) تحقيق : د . مصطفى غالب (بيروت : دار الاندلس ـ) ص ١٨ . . ولقب الباب ـ عندهم ـ يعني : المفضي الى الحقيقة .

ومن هذا السيد ـ كما رأينا ـ كانت البذرة لوجود الشيخية كفرقة ، وفي كربلاء .

ومن كربلاء انتقلت على يد الحاج كريم خان تلميذ السيد الرشتي الى (كرمان) ، وأصبحت كرمان بعد مدة يسيرة المركز العلمي والديني للشيخية الركنية .

ومن هذا المركز انداحت تنتشر فدخلت البصرة بواسطة آل المزيدي ، ومنهم ابرز علمائها في البصرة ـ وهم أحسائيو الأصل ـ ، وأشاعوها بين الاحسائيين الموجودين هناك[1] .

ومن البصرة انتقلت الى الخالص وعين التمر (شفاثة) في العراق ، والى الكويت والمحمّرة ، ومن المحمّرة انتقلت الى عبادان .

هذه هي رقعتها الجغرافية وكالتالي :

ومن كربلاء أيضاً انتقلت الشيخية الى تبريز عن طريق الميرزا حسن الشهير بكوهر المتوفي بعد سنة ١٢٦١ هـ وتلميذه الميرزا شفيع التبريزي المتوفي سنة ١٣٠١ هـ تلميذي السيد كاظم الرشتي ، واستقرت في (اسكوء) عن طريق الميرزا محمد باقر بن محمد سليم التبريزي المتوفي سنة ١٣٠١ هـ ، وعلى يديه تم وجود الشيخية الكشفية ، وعلى يديه تركزت في اسرته وفي بلدتهم اسكوء .

وعن طريق ابنه الميرزا موسى بن الميرزا محمد باقر الاسكوئي الحائري ، عندما كان مقيماً في كربلاء انتقلت الى الأحساء عندما التقاه بعض الاحسائيين من أهالي الهفوف الذين كانوا يترددون على كربلاء للزيارة وتأثر بالفكرة واعتنقها .

---

(١) كان أول آل المزيدي في البصرة : الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله المزيدي المتوفى سنة ١٣٠١ هـ . . هاجر الى البصرة من الاحساء «على اثر الموجات الوهابية التي اجتاحت بلاد الاحساء والقطيف وما والاها ، وما فعلته بأهلها من القتل والظلم والتشريد ، ففروا من بلادهم ، وتفرقوا في البلدان ، فمنهم من سكن بلاد ايران ، ومنهم من سكن العراق ، وكان ذلك قبل أكثر من قرن من الزمان .

فالأسرة المزيدية ممن هاجر الى البصرة كغيرهم من الاحسائية واستوطن فيها .

ومنهم جماعة سكنوا الدروق من ايران آنذاك ، ثم انتقلوا بعد ذلك الى الكويت ، ولا يزال ذريتهم وأحفادهم موجودين في الكويت» ـ من رسالة خطية شخصية للسيد عبد الله الموسوي بتاريخ ٣٠ رجب ١٣٩٠ هـ عنونها بـ (مختصر من أحوال علماء الاسرة المزيدية وأدبائها الذين هاجروا الى البصرة وسكنوا فيها) ـ

وبعد وفاة الشيخ حسين المذكور خلفه في وظيفته الدينية ابنه الشيخ محمد حسن المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ .

وخلفه بعد وفاته أخوه الشيخ محمد طاهر المزيدي المتوفى سنة ١٣٣٨ هـ ، وهو آخر علماء الأسرة المزيدية في البصرة .

ومن الاحساء انتقلت الى الاحسائيين القاطنين في الكويت ، والاحسائيين القاطنين في البحرين والاحسائيين القاطنين في سوق الشيوخ بالعراق الذين يعرفون بـ (الجماعة الحسائية) .

وبقيت كربلاء الى عهد قريب المركز العلمي والديني لهم ، ومقره الحسينية المعروفة بـ (حسينية الحسائية) ، المقابلة ـ في موقعها ـ لمشهد الامام الحسين (عليه السلام) .

ثم انتقلت المركزية في اخريات القرن الماضي الى الكويت ، ولا تزال فيه .

فكان انتشارها كالتالي :

ومن هنا ندرك أن الشيخية لم تكن في الاحساء قبل دخولها اليها بواسطة آل الاسكوئي .

وهذا يعني ان الشيخ احمد الاحسائي لم يكن المؤسس لها .

وتقديراً لو كان هو المؤسس لكان جل الاحسائيين ـ على أقل فرض ـ اعتنقوها في ايامه ، لما يحملون له من حب واحترام يبلغان الى حد التقديس .

فعدم قبولها من قبل الاكثر انما هو لعدم وثوقهم بصحة نسبتها اليه ، وأيضاً لما عرفوه فيها من مفارقات عقائدية تسربت من الفكر الاسماعيلي الى الفكر الامامي عن طريق الروايات الاسماعيلية التي استطاعت أن تدخل مدونات الحديث الامامية كالكافي والبحار وغيرهما .

ومن المؤسف له أنه لم يقدر لهذه الروايات أن تفرز وتدرس ويشار الى ما فيها مما يخالف العقيدة الامامية التي هي امتداد لعقيدة اهل البيت ـ عليهم السلام ـ .

هذا الواقع المعروض تاريخه باختصار ، هو الذي دعا الشيخ الوالد والعلماء الاصوليين الآخرين في الاحساء والكويت الى الوقوف امام انتشارها .

فكان ـ رحمه الله تعالى ـ أوان نزوله الاحساء ، المشار اليه ، والذي لم يطل اكثر من خمس سنوات ، يذهب الى الهفوف ، ويناقش افكارهم ويهاجمها هجوماً عنيفاً .

وكذلك في كل مكان يحل به وفيه من الاحسائيين من تأثر ، أو يمكن أن يتأثر .

وبموقفه البطولي هذا ومواقف العلماء الآخرين من الأصوليين تحجمت الشيخية في حدودها الضيقة من الرقعة الصغيرة التي تشغلها .

وعندما عاد ـ قدس سره ـ من البصرة ، وسكن (سيهات) كان يتردد على الاحساء اسبوعياً بطلب من أهلها ، وبخاصة أبناء عمه (آل علي) في (القارة) ، وكان يُدعَى أيضاً من قبل بعض الاصوليين في الهفوف لإلقاء بعض المحاضرات في الحكمة الالهية ، يقارن من خلالها الفكر الشيخي بواقع الفكر الامامي ويوضح الفرق بينهما .

وكان من نتائج محاضراته العلمية التوجيهية التي كان يلقيها في المفوف ، أن عدل غير قليل من الشيخية الى الاصولية ، وقلدوا السيد الخوئي ـ دام ظله ـ .

ومن خلال الواقع المشاهد نستطيع أن نقول : إن الشيخية الاسكوئية (الكشفية) كان فيها ـ الى قبل مدة قصيرة ـ علماء يدركون فكرها ويحملونه أمثال : الميرزا محمد باقر الاسكوئي ، والميرزا موسى وابنه الميرزا علي الاسكوئيين .

وأخيراً ، وبعد الذي رأيناه وعرفناه لا يعدو أن يكون التمسك بها بعد ظهور ما فيها من مفارقات تبتعد بها عن واقع الفكر الامامي الى حظيرة الفكر الاسماعيلي والاعتقاد الصوفي كفكرتي (الناطق) و(الكشف) اللتين هما عماد الفكر الاسماعيلي والصوفي السني ، لا يعدو أن يكون نوعاً من التعصب على غير أساس .

أقول هذا لأن الذي يؤمن بان الفكر الامامي هو الحق ، لا أعتقد بأنه يرى وجهاً حقاً لجموده عليها .

في البصرة

ولتردده ـ رحمه الله تعالى ـ على البصرة مدة بقائه في الاحساء ـ الفترة المشار اليها ـ عرف بين علماء البصرة آنذاك ، واشتهر بين أهلها .

ولأن أبناء قرية (صبخة العرب)ـ احدى قرى البصرة ـ كانوا بحاجة الى عالم ديني يقيم بين ظهرانيهم ، ويقوم بتوجيههم وارشادهم وتعليمهم احكام دينهم ، تقدموا الى السيد مهدي القزويني ـ من علماء البصرة آنذاك ـ في أن يفاتح الوالد ـ قدس سره ـ بذلك ، وكان الوالد يومها في البصرة .

فتم لهم ما أرادوا ، واتصلوا عن طريق السيد المذكور بالمرجع الديني في النجف الاشرف يومذاك ، وهو السيد ابو الحسن الاصفهاني ، فعينه وكيلاً عنه ، وزوده بالوكالة المطلقة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله الذي رفع قدر العلماء وجعلهم ورثة الانبياء ،والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الأصفياء . أما بعد :

فلا يخفى على سائر اخواننا المؤمنين ـ وفقهم الله تعالى لمراضيه ـ من خصوص ولدنا العالم التقي والفاضل الورع النقي جناب الشيخ ميرزا محسن ـ وفقه الله تعالى ـ فانه من فطاحلة العلماء وأكابرهم ، وممن ثبت عندنا فضله وزيادة علمه وورعه ، فقد جعلنا وكيلاً من قبلنا على قبض الحقوق الشرعية ، كحق الامام ـ عجل الله فرجه وجعل أرواحنا فداه ـ ورد المظالم ، ومجهول المالك ، والنذر المطلق ، وغير ذلك من الامور الشرعية ، وتولي الامور الحسبية ، وفصل الخصومات وأن الذي يصل اليه مما ذكرناه واصل الينا ، ويده يدنا .

وجل أملي بكم ـ وفقكم الله تعالى ـ أن تعينوه على إجراء الأمور الشرعية ، وأن تتمثلوا كلامه فانه لا يهدي لغير طريق الحق والرشاد . وقد أوصيته سلوك سبيل الاحتياط .

والسلام عليه وعليكم ورحمة الله وبركاته .
تحريراً يوم ٨ محرم الحرام سنة ١٣٥٢هـ الاحقر ابو الحسن الموسوي الاصبهاني

الراجي محمد رضا آل يس عفي عنه محسن الطباطبائي الحكيم

١٠ شعبان ١٣٧٠

ثم أمضيت هذه الوكالة ـ كما نرى ـ من المرجع الديني الشيخ محمد رضا آل يس لإرجاعه في التقليد إليه بعد وفاة السيد ابي الحسن الاصفهاني سنة ١٣٦٥هـ .

وأمضيت بعد ذلك من قبل المرجع الديني السيد محسن الحكيم لإرجاعه في التقليد اليه بعد وفاة الشيخ محمد رضا آل ياسين سنة ١٣٧٠هـ .

وهي وكالة عامة ومطلقة ، وفيها ما ينص على اجتهاده وبشهادة المراجع الموقعين ادناها ، وهي العبارة التالية : «وتولي الامور الحسبية وفصل الخصومات والمرافعات فانه أهل لذلك ولا بأس بالرجوع اليه في ذلك» .

ذلك أن هذه وخاصة الفصل في المرافعات من اختصاصات ووظائف الفقيه المجتهد .

وكان ابرز العلماء في البصرة يوم سكنها وكيلاً عن السيد الاصفهاني :

١ ـ السيد محمد بن السيد جعفر آل شبر :

كان من تلامذة الشيخ محمد حسين الهمداني والشيخ جعفر التستري والشيخ اسماعيل السلماني والميرزا محمد حسن الشيرازي المجدد .

وكان بدء تعيينه وكيلاً في البصرة ، من قبل الميرزا الشيرازي المجدد .

ومن آثاره فيها : بناء المسجد المعروف بـ(جامع العجم) والكائن في محلة يحيى زكريا .

وكان يقيم فيه الجماعة والتعزية الحسينية ، كما أن مجلسه كان فيه .

ألف وترجم من الفارسية الى العربية ، ولا يزال نتاجه مخطوطاً . توفي سنة ١٣٤٦هـ في البصرة ، ودفن في النجف الاشرف .

٢ ـ الميرزا محمد تقي بن الميرزا حسين جمال الدين من ذرية الميرزا محمد النيسابوري الاخباري .

كان العالم الديني للاخبارية ، وكان يقيم الجماعة والجمعة في جامعهم الكائن في محلة ابي الحسن ، وكان منزله في المحلة المذكورة ، ومجلسه فيها متفرعاً من دار سكناه .

توفي في البصرة سنة ١٣٥٧هـ ، وأرخ بعضهم وفاته بقوله :

وكان في تاريخه طبعاً أزلفت الجنة للمتقين

ودفن في البصرة لذهاب علماء هذه الاسرة الى حرمة نقل الموتى .

دفن في المقبرة المعروفة بمقبرة ابراهيم الخليل ، وشيدت على قبره قبة كتب على باب حجرتها الآية الشريفة (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً) .

٣ ـ السيد مهدي بن السيد صالح القزويني من أسرة آل الكيشوان الكاظمية .
كان من تلامذة الميرزا الشيرازي والسيد محمد الهندي والشيخ محمد تقي الشيرازي والشيخ محمد طه نجف .

له عدة مؤلفات ، منها : بوار الغالين ، ظهور الحقية على فرقة الشيخية ، خصائص الشيعة ، منهاج الشريعة في الرد على منهاج السنة لابن تيمية ، ضربات المحدثين على الحق المبين ، غش الركنية .

كان يقيم الجماعة في الجامع الكائن في محلة العروة ، والمعروف بجامع السيد ناصر عبد الصمد نسبة الى السيد ناصر بن السيد احمد آل السيد عبد الصمد البحراني الذي كان يقيم الجماعة فيه ، وبعد وفاة السيد ناصر عبد الصمد سنة ١٣٣١هـ حل محله بطلب من أهل البصرة السيد عدنان السيد شبر الغريفي نزيل المحمرة آنذاك وأقام الجماعة في الجامع المذكور حتى توفي سنة ١٣٤٠هـ فخلفه السيد مهدي فيه .

وكان مجلسه في ديوانيته المتفرعة من بيت سكناه في محلة التحسينية ، توفي سنة ١٣٥٨هـ في البصرة ودفن في النجف الاشرف .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

٤ ـ الشيخ مهدي الحجار المتوفى سنة ١٣٥٨هـ .

٥ ـ السيد محمد السويج الأحسائي
كان العالم الديني للشيخية الركنية بعد الشيخ محمد طاهر المزيدي المتوفى سنة ١٣٣٨هـ ، وكيلاً عن مرجعهم الديني في كرمان .
وكان يقيم الجماعة في جامع الشيخ فارس الكائن في محلة الفرسي .
ذكر له كوركيس مؤلفاً بعنوان (رفع الاشتباه) طبع في النجف سنة ١٩٢٧م[1] .
لم أقف على ترجمة له فيما بين يدي من مراجع .

٦ ـ الشيخ حبيب آل قرين الاحسائي المتوفى سنة ١٣٦٣هـ .

٧ ـ الشيخ عبد المهدي بن الشيخ ابراهيم المظفر
ترجمه الزركلي في (الاعلام ٤/١٦٩ ط٤) فقال : «فقيه إمامي متأدب ، اشتهر في البصرة ، وعاش في العشار ، وتوفي بها ودفن في كربلا ، ونقل الى النجف الاشرف .
له كتاب ارشاد الأمة للتمسك بالأئمة ط» .

كان يقيم الجماعة في مسجدهم المعروف باسم جامع المظفر في العشار ، ثم أنشأ مسجداً كبيراً في محلة أم البروم في العشار ، وأخذ يقيم الجماعة فيه ليلة في الاسبوع .
وكان مجلسه في بيته بالعشار .

توفي سنة ١٣٦٣هـ ودفن في النجف الاشرف .

---

(١) انظر : معجم المؤلفين العراقيين ٣/١٠٠

٨ ـ السيد عبد الله بن السيد محمد علي الخليفة الاحسائي

كان من تلامذة الشيخ محمد كاظم الخراساني والسيد محمد كاظم اليزدي والشيخ علي بن الشيخ باقر الجواهري .

تولى وظيفة العالم الديني الوكيل في البصرة بعد وفاة والده . وكان يقيم الجماعة في المسجد القريب من داره الواقعة في محلة جسر العبيد (الخليلية) والمعروف بجامع حاجي فقير .

وكان مجلسه في حسينيتهم المعروفة بحسينية الخليفة ، الواقعة مجاورة لداره .

توفي سنة ١٣٧٤هـ بالبصرة ودفن في النجف الأشرف .

٩ ـ وكان قاضي الجعفرية فيها آنذاك السيد محمد جعفر الحسيني الشيرازي الحائري المتوفى سنة ١٣٧٧هـ .

وهو من تلامذة المولى محمد كاظم الخراساني ،وله من المؤلفات : مرآة الفقاهة ، والزلال المرشوف في وضع الاسماء والحروف ، وقلائد اللئالي : منظومة في المنطق .

١٠ ـ وابرز علماء اهل السنة والجماعة فيها وقتذاك الشيخ محمد بن خليفة النبهاني .

ترجم له الزركلي في (الأعلام ٦/١١٦ ط٤) قال : «محمد بن خليفة بن حمد بن موسى النبهاني الطائي نسباً ، المكي مولداً ومنشأ ، المالكي مذهباً ، مؤرخ جزيرة (البحرين) في العصر الحديث .

كان من مدرسي الحرم المكي ، كأبيه ، وسافر الى (البحرين) في أول عام ١٣٣٢هـ فأقام مدة قصيرة ، جمع فيها ما تيسر له من تاريخها وسير امرائها في كتاب سماه (النبذة اللطيفة في الحكام من آل خليفة) ، وسافر الى بغداد ، فأشير عليه أن يجعل كتابه عاماً لجزيرة العرب ، فأضاف اليها زيادات ، وسماه (التحفة النبهانية في إمارات الجزيرة العربية) ونشر الجزء الأول منه ، وهو خاص بالبحرين سنة ١٣٣٢هـ .

وسافر الى البصرة سنة ١٣٣٣هـ وقد نشبت الحرب العامة الأولى ، فاعتقله الانجليز ، وسلبت منه كتبه وأوراقه ، وفي جملتها مسودات تاريخه ، وأفرج عنه سنة ١٣٣٤هـ بشفاعة الشيخ عيسى بن علي من آل خليفة ، ولم يؤذن له بمغادرة البصرة .

وعاد بعد انتهاء الحرب سنة ١٣٣٧هـ الى العمل في كتابه ،فرتبه على نسق غير نسقه الأول ، وزاد فيه كثيراً ، وسماه (التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية) ط سنة ١٣٤٢هـ ، في ثلاثة أجزاء ، يجمعها مجلد واحد ، وفي آخر الثاني منها اسماء مؤلفات أخرى له ، منها : (مؤنس العزب ، تذييل سبائك الذهب في أنساب العرب) و (قطف الازهار في معرفة المعادن والاحجار) و (النخبة النبهانية ، شرح المنظومة البيقونية) في مصطلح الحديث ، و(التذكرة النبهانية) في أسماء بعض المخترعات والمكتشفات الحديثة ، و(ثمرات الخرائط في رسم البسائط) .

وتوفي بالبصرة سنة ١٣٦٩هـ .

في صبحة العرب

جاء في مجلة (لغة العرب) ـ المجلد الثالث لسنة ١٣٣١هـ ـ ١٩١٣م ص ١٥٧ ، نقلاً عن جريدة (الدستور) ـ العدد ٦٣ ـ: «على مسافة ٤٠ دقيقة من مقر ولاية البصرة في الجهة الشمالية منها

محلة تسمى (الصبخاية) يقطنها خليط من عشائر الغراف[1] يبلغ عددهم نحو الألفين ذكور واناث كلهم أصحاب جد ونشاط وعمل دائم . . وفيها نحو ٧٠٠ بيت» .

نشأت هذه القرية في أوائل القرن الرابع عشر الهجري عندما نزل أرضها أول نازح من منطقة الغراف اليها ، وهو رجل اسمه (موح) . و(الصبخاية) ـ كما سمتها المجلة ـ أحد أسمائها .

وتعرف أيضاً بـ(العرب) ، وكان يطلق على الوالد لقب (عالم العرب) نسبة الى هذا الاسم ، وتوجد صورة جماعية لزيارة الشيخ حبيب آل ابراهيم المهاجر العاملي للبصرة ، منشورة في مجلة (العرفان) اللبنانية ـ كتب تحتها اسماء المصورين فيها ، وكان منهم الوالد، وكتب لقبه بعد اسمه (عالم العرب) .

والاسم الرسمي لها هو (صبخة العرب) ، ومدرستها تسمى (مدرسة صبخة العرب) ، ومستوصفها سمي (مستوصف صبخة العرب) لانه الاسم الرسمي لها في سجلات الدوائر الحكومية .

وكان من عزم الحكومة التركية انشاء سد على الفرات أو دجلة لتلافي تأثير تدفق المياه على الغراف ، ولكن «جاءت الحرب العامة بكوارثها فحالت دون انشاء سدة الكوت ، وانتقل العراق من الاتراك الى الانكليز ، ومن هؤلاء الى العراقيين ، والغراف يضمحل سنة بعد أخرى وعشائر الغراف تظعن الى البصرة وسائر الجهات»[2].

وكان هذا هو عامل نشوء هجرة أهالي صبخة العرب اليها .

وأيضاً أشار الى هذا السبب كعامل هجرة حسن العلوي في كتابه (الشيعة والدولة القومية في العراق) ـ ص ٢٥٠ ـ ،قال : «والغراف كما يصفه عبد الرزاق الحسني (سرّة العراق) ، عظيم البركة ، حتى قيل إن مجراه هو مجرى دجلة القديم ، وتمتد على جانبيه أعظم مزارع الحبوب في المنطقة والتي كانت تصدر انتاجها الى معظم بلدان اوروبا .

وحول الغراف تعيش قبائل شيعية عربية انقطعت الى الزراعة منذ عهد قديم ، حتى اذا أخذ بالجفاف لترسب مياه الفيضانات ، مما سبّب ارتفاعاً في قعره ، وانخفاضاً في كميات مياهه لعدم عناية ادارة الري فيه ، بدأت جموع الفلاحين تنزح عنه» .

فكان أن هاجر اليها من سأشير اليهم من أبناء ناحية الغراف التابعة لولاية الناصرية (المنتفك) والساكنين على ضفتي نهر الغراف الممتد من الكوت حيث يلتقي بنهر دجلة ، الى الناصرية حيث يلتقي بنهر الفرات فيوصل بين الرافدين .

وهو من مشروعات الري التي عملتها الحكومة لاستصلاح الاراضي بين المدينتين المذكورتين ،وكان اكثر ما يزرع فيها الحبوب كالحنطة والشعير .

---

(١) جاء في (دائرة المعارف الاسلامية الشيعية ٢٥٢/٣) ما نصه : «وتقطن على الغراف القبائل العربية الشيعيةالضخمة ذوات البطون والافخاذ والعدة والعدد كآل سرّاج ومنّاح وبني ركاب وآل حُمَيّد والشويلات والعبودة وبني زيد والبوسعد وبني سعيد وخفاجة وآل إزيرج وآل ابراهيم وبني مالك ، وغير ذلك كعُكَيل والقراغول ممن هم أقل عدداً من اولئك» .

(٢) م . ن .

ويرجع سكان هذه القرية (صبخةالعرب) في اصولهم العرقية وأنسابهم إلى :

ـ خفاجة . ـ البو صالح . ـ العبودة . ـ بني ركاب . ـ بني زيد . ـ بني شهاب .

وكان الرئيس العام آنذاك ـ أو كما يسمونهم شيخ العموم ـ لعشيرة خفاجة الشيخ صكبان العلي ، وللعبودة الشيخ خيون العُبيد ،وللبوصالح الشيخ بدر الرُميّض .

وكان لكل من الأخيرين دور تاريخي معروف أيام الاحتلال الانكليزي ، يمكن تعرفه من كتاب (الكويت وجاراتها) لديكسون ، وغيره من الكتب التي أرخت للاحتلال الانكليزي لأرض العراق .

ويمارس ابناء هذه القرية أعمالهم في مدينة البصرة ، ويغلب عليها البناء وتجارة المواشي .

وكانت ظاهرة الأميّة والتخلف المدني هي السائدة فيهم وعليهم ، فكانوا يرسفون في بعض التقاليد والعادات غير المرضية ، شأنهم في هذا شأن عامة العشائر العراقية آنذاك .

ويوم نزلها الوالد ـ رحمه الله تعالى ـ كان فيها مسجد واحد ،وثلاث حسينيات لكل من خفاجة والبوصالح والعبودة .

والى جانب المسجد أشاد أهل القرية بيتاً للوالد يضم مجلساً كبيراً .

والوالد ـ كما سنعرف ـ كان دقيقاً في تنظيم شؤون حياته ،وشديداً في الالتزام بما يقننه من نظام .

ومن هذا أن جعل مجلسه العام من الساعة الواحدة غروبية ليلاً ، وحتى الساعة الرابعة .

وكان ما يدور في مجلسه لا يخرج عن دائرة الارشاد والتوجيه وتعليم الاحكام الشرعية ، لانه لايسمح أن يدور فيه غير هذا .

وبهذا استطاع أن يكرس هذا الوقت من كل يوم للتثقيف .

وبتأثير ما ألقاه من معلومات استطاع أن يرفع من مستوى الكثيرين ممن كانوا يحضرون المجلس ، ثقافياً ، وأن ينتشلهم من وهدة التخلف الثقافي الديني الى مستوىً كانوا يضارعون به ـ وقد يتفوقون ـ أقرانهم ولداتهم من سكان المدينة ، فأصبح فيها الجمع من المتعبدين عن معرفة والمتدينين عن فقه .

أما ما أشرت اليه من عادات غير مرضية ، والتي كانت تكون في المناسبات العامة كالاعياد وأمثالها . استطاع القضاء عليها بأن جنّد وجوه كبار كل عشيرة من العشائر التي مر ذكرها لمكافحتها وتحت قيادته وبتوجيهه وتم له ما هدف اليه من تغييرها الى عادات دينية محببة .

وكان هذا خلال السنة الأولى من نزوله بين ظهرانيهم .

ومن آثاره أيضاً أن سعى لدى الدولة بتطوير القرية مدنياً ، فذهب لأجل هذا الى بغداد لمقابلة المسؤولين في الوزارات المعنية ثلاث مرات وجاء من نتائج هذا :

١ ـ أن أوصل اليها الماء العذب عن طريق نصب خزّان إسالة ماء كبير في القرية .

٢ ـ وفتحت في القرية مدرسة أولية ، تحولت بعد مدة الى ابتدائية ، ثم انشئت الى جانبها مدرسة متوسطة .

٣ ـ وفتح مستوصف صحي .

٤ ـ ثم عبّد وزفّت الطريق الذي يربط القرية بمركز المدينة.

وكان يوم افتتاح وتدشين إسالة الماء يوماً مشهوداً في القرية ، حيث أقامت متصرفية اللواء حفلاً كبيراً بالمناسبة حضره كبار المسؤولين في اللواء وأعيان المدينة .

وكانت لسماحة الوالد فيه كلمة بالمناسبة ، ضمنها ترحيبه بالحاضرين وشكره بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن أهالي القرية للمسؤولين الذين ساهموا في هذه المشروعات الحيوية ، ألقاها بالنيابة عنه الاستاذ سلمان العبدال من أبناء القرية ، وهو موظف إداري في مؤسسة سكك حديد الحكومة العراقية .

وكانت ديوانية الوالد ـ طيّب الله ثراه ـ نهاراً ـ في أغلب الايام ـ ملتقى العلماء ومنتدى تبادل المعلومات واثارة المسائل العلمية للنقاش والحوار والبحث .

وأغلب من كان يزوره رداً على زيارته لهم :

ـ الشيخ حبيب آل قرين .

ـ السيد مهدي القزويني .

ـ الشيخ عبد المهدي المظفر .

ـ الشيخ مهدي الحجار .

غير الذين ينزلون على ضيافته قادمين من النجف الاشرف ، ومن الأحساء والقطيف والبحرين وغيرها .

وغير الولائم التي كان يقيمها على شرف عالم مقيم وآخر قادم ، فيكون فيها مجلسه المنتدى العلمي العامر والحافل .

ومنها : الوليمة الكبرى التي أقامها على شرف السيد ناصر الموسوي الاحسائي عند قدومه البصرة من النجف الاشرف متوجهاً الى الأحساء .

والتي دعا اليها أكابر علماء البصرة وأكابر أعيانها ووجهاء القرية ،فكانت ـ بحق ـ من أروع المناسبات ، وبما جرى من تعارف بين الضيف الكريم والمدعوين .

وممن اتذكره من الضيوف الذين نزلوا عليه في القرية وعمر بهم مجلسه العلمي السيد باقر الشخص الأحسائي والخطيب السيد شرف التويثري الاحسائي وغيرهما ممن لاتحضرني أسماؤهم الآن .

كما اتذكر أنه كان يلتقي كثيراً السيد عيسى كمال الدين (ت ١٣٧٢هـ) شقيق الشاعر المشهور السيد جعفر الحلي ، وهو زعيم ديني من زعماء الاصلاح ، في مقره بمحلة الصبخة الكبيرة في البصرة الذي فرضت عليه فيه الاقامة الجبرية ، ويدور الحديث بينهما في التاريخ السياسي العراقي والتاريخ العام الى شيء من الأدب العربي وشؤون عالم النجف الأشرف ، وما الى هذا .

الصلح بين آل قرين والقزويني

كان الشيخ حبيب آل قرين الأحسائي عند عودته من النجف الأشرف وقبل رجوعه الى قرية (گردلان) في البصرة ، قد سكن الكويت عالماً دينياً ومرجع تقليد للأحسائيين الأصوليين المقيمين في الكويت .

وكان السيد مهدي القزويني الكاظمي ـ هو الآخر ـ يعد عودته من النجف الأشرف وقبل سكناه البصرة قد سكن الكويت عالماً دينياً للعجم المقيمين في الكويت .

وكانا ـ السيد والشيخ ـ العالمين البارزين في الكويت ، فكان المتوقع أن يشد كل منهما أزر الآخر للنهوض بأعباء الوظيفة الدينية التي أنيطت بكل واحد منهما .

ولكن قوماً من ذوي السوء ، ولدوافع قد تكون سياسية مخرّبة ، وشوا بالشيخ عند السيد ـ زوراً وبهتاناً ـ في أنه يعتنق العقيدة الشيخية ، فشن السيد على الشيخ حملة هجوم عنيفة ، وألف في النيل منه كتابه الموسوم (بوار الغالين) ـ المطبوع سنة ١٣٣٢هـ ـ.

وكان موقف الشيخ من هذا ، أن اعتصم بالصمت إخماداً لنار الفتنة ، وحفاظاً على وحدة الكلمة ، ووقوفاً بوجه المغرضين أن يصلوا إلى أهدافهم الدنيئة .

وانتقل السيد الى البصرة ـ كما ألمحت ـ وسكن في محلة العروة ، ثم في محلة التحسينية . الضفة الشرقية لشط العرب .

وانتقل الشيخ إلى البصرة أيضاً ، وسكن في قريته المعروفة بـ (گردلان) ، والواقعة في الضفة الشرقية لشط العرب .

والبصرة ، ومنذ أن أسست هي ملتقى الافكار المختلفة والمتخالفة ، ومصطرع الايديولوجيات المتنوعة .

وقد يرجع هذا الى طبيعة بيئتها المناخية ، وربما عاد الى طبيعة موقعها الجغرافي الذي يشكل نقطة التقاء لحضارات شتى .

ولعل تفسير تسميتها (البصرة) بانها تعريب للعبارة الفارسية (پس راه) التي تعني (وراء الطريق) ، لأنها تقع على حافة الطرق البرية التي تربط جزيرة العرب بالعراق وبما وراء النهرين ، وعلى حافة الطرق البحرية التي تربط العراق وجزيرة العرب ببلاد الهند وسواحل البحار ، يؤيد ما ذكرت .

ومن طبيعة هكذا ملتقيات كما تجلب اليها البضاعات التجارية المادية ، وتتفاعل على أرضها بيعاً وشراء ، تجلب اليها الافكار والآراء ، وتتفاعل فيها أخذاً وعطاءً ، وصراعاً يهدف الى بقاء الأقوى أو الأصلح .

وحين نزلها الشيخ والسيد كانت لا تزال على وضعها من احتوائها للافكار المتعددة المتضاربة ، فقد كان فيها آنئذ اتباع الاديان السماوية الثلاثة بفرقهم ومذاهبهم المختلفة .

ويبدو أن السيد كان من المتخصصين والمتفرغين للمنازلة الفكرية ، فقد كان يصارع في اكثر من جبهة ، ومؤلفاته في الردود تعرب عن هذا ، ففيها الرد على الملحدين مثل (حلية النجيب) و(حيلة اللبيب) في الرد على الماديين .

وفيها الرد على المسيحيين مثل (حي على الحق) في رد كتاب (المسيح في الاسلام) لبعض النصارى ، و(لسان الحق) في الرد على أحد النصارى .

وفيها الرد على أهل السنة مثل (منهاج الشريعة) في الرد على كتاب (منهاج السنة) لابن تيميّة ، و(هدى الغافلين الى الدين المبين) في الرد على ابن حزم الاندلسي الظاهري .

وفيها الرد على الاخبارية مثل (ضربات المحدثين على الحق المبين) . وفيها الرد على الشيخية الركنية مثل (غش الركنية وغفلة البرية) ، و(بهتان الركنية) .

وفيها الرد على الشيخية الكشفية مثل (ظهور الحقية على فرقة الشيخية) . وغيرها .

ومن الطبيعي عندما يحل مثل السيد القزويني في مثل بيئة البصرة يزداد نشاطه ويكثر انتاجه في النقد والرد لتعاضد الشخصية والبيئة على ذلك .

ومن هنا استمر السيد القزويني في مهاجمة آل قرين ، فصار الشيخ جبهة من جبهات منازلاته الفكرية .

وتضخم الموقف لمساعدة بيئة البصرة على ذلك ، فرأى سماحة الوالد ـ قدس سره ـ وهو صديق لكل من طرفي الموقف الشيخ القريني والسيد القزويني أن يدخل بينهما لاصلاح ذات بينهما ، فاختار ـ كما سمعت ذلك منه رحمه الله ـ الخطيب الشيخ عبد الحميد الهلالي[1] والاستاذ محمد جواد جلال[2] ،

---

(١) الشيخ عبد الحميد بن ابراهيم الهلالي الأحسائي وكان من خطباء المنبر الحسيني المشهورين بقوة الحافظة وسلامة اللغة ورواية المأثور والمتواتر من السنة الشريفة وأخبار أهل البيت ـ ع ـ انظر : الشيخ الهلالي : سيرة مثل وعطاء مستمر بقلم الاستاذ محمد سعيد الطريحي تقديماً للملحمة العلوية نظم أخينا العزيز الخطيب المجدد الشيخ جعفر الهلالي نجل المترجم له .

ولد الشيخ عبد الحميد في البصرة ، وفيها نشأ خطيباً موفقاً حتى عد من كبار خطبائها ، ثم انتقل الى النجف الأشرف مجاوراً حتى توفاه الله تعالى سنة ١٤٠٦هـ .

وكان الشيخ الهلالي من تلامذة الوالد المقربين لديه ، فقد درس عليه النحو والصرف من خلال شرح قطر الندى لابن هشام وشرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ، والفقه من خلال تبصره المتعلمين للعلامة الحلي وشرائع الاسلام للمحقق الحلي .

ترجم له مفصلاً الحاج جواد آل رمضان في كتابيه (الكشكول) و(مطلع النيرين في ذكر أعلام الحساء والقطيف والبحرين) .

(٢) كان الاستاذ جلال في مبدأ أمره خطيباً حسينياً ، ثم تحول الى معلم فمدرس ، وذلك عندما فتحت الحكومة العراقية الهاشمية المدارس الابتدائية وجعلت التعليم فيها إلزامياً احتاجت الى العدد الكثير من المعلمين ، فأخذت تدعو المعلمين من أئمة المساجد وخطباء المنابر الى التعليم فيها .

فُعيّن أولاً معلماً ابتدائياً ثم مدرساً متوسطاً فثانوياً ، واستمر على هذا حتى سن التقاعد .

وانتدب بعد ذلك لالقاء محاضرات في مادة النحو والصرف بكلية آداب جامعة البصرة .

كان أبرز أدباء البصرة في عصره شعراً ونثراً وخطابة ، فلا يقام حفل في أية مناسبة أدبية أو ثقافية أو دينية إلاّ وكان الاستاذ جلال خطيبه اللامع .

وكان كثيراً ما يدعى لإلقاء محاضرات عامة في مختلف المناسبات وشتى المؤسسات الثقافية والدينية .

وأسس جمعية الرابطة الثقافية في البصرة ، وجعل مقرها في بستانه بمحلة العروة ، وتولى رئاستها .

ولقب ـ عن جدارة واستحقاق ـ عميد الأدب البصري .

ونشر له اكثر من كتاب ، أهمها (فلسفة الامام) المنشور حلقة في سلسلة حديث الشهر التي كان يصدرها في الكاظمية الاستاذ عبد الامير السبيتي .

وكان الاستاذ جلال من تلامذة الوالد ، فقد درس عنده حاشية ملا عبد الله في المنطق ، وكشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد في علم الكلام .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في اوائل القرن الخامس عشر الهجري .

ليكونا معه حاضرين وشاهدين على ما يدور من حوار بينه وبين كل من طرفي الموقف .

فبدأ بمقابلة السيد القزويني ومفاتحته بالسعي للصلح بينه وبين الشيخ آل قرين .

وبدأ ـ قدس سره ـ حديثَ الصلح مع السيد بقوله : ما الذي تأخذه على الشيخ آل قرين ؟

قال : اعتقاده معتقد الشيخية ؟

قال : لو أثبتنا لك بالوثائق المصدَّقة التي لا تقبل الرد أن اعتقاده لا يختلف عن اعتقادنا ماذا سيكون موقفك منه ؟

قال : هو الحل الذي سيؤدي الى الصلح من غير ريب ؟

وأشهد ـ يرحمه الله تعالى ـ مرافقيه الخطيب الهلالي والاستاذ جلال على المحضر .

وذهبوا الى گردلان يمخرون عباب شط العرب بزورق شراعي عشاري ، وقابلوا الشيخ القريني ، وفاتحه الوالد بموضوع الاصلاح بينه وبين السيد القزويني ، فرحب بذلك مستبشراً ، ليقضي على الفتنة التي امتد أوارها وبازدياد من الكويت الى البصرة .

فطلب الوالد منه أن يكتب معتقده بخطه ويختمه بختمه ، فأجاب .

وعادوا بالجواب وثيقة مدونة بخط يده وممضاة بختمه الرسمي ، الى السيد القزويني .

وعندما اطلع السيد القزويني على الوثيقة تراجع عن موقفه ، وصعد المنبر ظهر يوم الجمعة في مسجده المعروف بمسجد السيد ناصر عبد الصمد ، وبعد أن أنهى مقدمة خطبته بالبسملة والحمدلة والثناء على الباريء تعالى بما هو أهله والصلاة على نبينا محمد وآله ، أثنى على الشيخ حبيب آل قرين ثناء عاطراً ، وقال ـ فيما قال من ثناء ـ «لو كان الأئمة المعصومون ثلاثة عشر لقلت : الشيخ آل قرين هو الامام الثالث عشر» .

وجمع الوالد بينهما في مجلسه ، ثم أقام كل واحد منهما للآخر وليمة كبرى في داره .

وتم الصلح بينهما وانتهى ما كان الى اخوّة ووئام .

وفي سنة ١٣٥٨هـ توفي السيد القزويني ، وانتقل الشيخ آل قرين الى الأحساء بطلب من أهلها ليقوم بوظيفة المرجع الديني بعد وفاة السيد ناصر الموسوي (ت ١٣٥٨هـ) ، وبقي في الاحساء الى أن توفاه الله تعالى سنة ١٣٦٣هـ .

في مدينة البصرة

وفي اوائل الستينات ابتاع الوالد لنا داراً في مدينة البصرة بمحلة المجصَّة .

فكان يقضي نهاره فيها ، وليله في القرية ، وتحول بهذا مجلسه العلمي من القرية الى المدينة ، وأخذ العلماء من البصرة وخارجها يغدون اليه فيها .

وقد استقبل فيها المرجع الديني الشهير الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، عندما مر بالبصرة قادماً من ايران الى النجف ، وأقام له حفلاً تكريمياً كبيراً حضره العلماء الوكلاء في البصرة آنذاك .

كما استقبل فيه المرجع الديني السيد ابا القاسم الخوئي عند مروره بالبصرة قادماً من النجف الى ايران .

والسيد الخوئي ـ دام ظله ـ هو آخر من أرجع اليه الوالد في التقليد ، وذلك بعد وفاة السيد الحكيم سنة ١٣٩٠هـ ، وتوكل عنه بالوكالة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على خير خلقه وأفضل بريته محمد وعترته الطاهرين .

وبعد :

فلا يخفى على اخواننا المؤمنين ـ وفقهم الله تعالى لمراضيه ـ ان جناب العالم الفاضل والمهذب الكامل ملاذ الانام حجة الاسلام الورع التقي الثقة المعتمد الشيخ ميرزا محسن ـ أيده الله تعالى وسدد خطاه ـ مأذون من قبلنا في التصدي للأمور الحسبية المنوطة بإذن الحاكم الشرعي ، ووكيل عنا في صرف مقدار حاجته المعاشية مما يقبضه من حق الامام عليه وعلى آبائه الكرام أفضل التحية والسلام ، والزكوات ، والمظالم ، والنذور المطلقة ، والكفارات ، وصرف نصفها في مواردها المقررة الشرعية ، وإيصال الباقي الينا لإقامة الحوزات العلمية .

وينبغي للمؤمنين القيام بما يحق له من الإعزاز والإكرام والتبجيل والاحترام ، فانه أهل لذلك .

وأوصيته ـ دامت تأييداته ـ بملازمة التقوى ، وسلوك سبيل الاحتياط ، فانه ليس بناكب عن الصراط من سلك سبيل الاحتياط ، وأن لا ينسانا من صالح الدعوات .

والسلام عليه وعلى سائر اخواننا المؤمنين ، ورحمة الله وبركاته .

٢٢/ع٢/ سنة ١٣٩٠هـ ابو القاسم الموسوي الخوئي

واعتاد اكثر من واحد من العلماء التردد على البصرة ، وكانوا في كل مدة يقدمون الى البصرة يزورون الوالد ويزورهم في محال اقاماتهم ، ويدعوهم لتناول طعام الغداء عنده .

وفي كل لقاء يثار النقاش حول مسائل مختلفة من الفقه وأصوله والفلسفة الالهية وعلم الكلام أو عن علوم أخرى ملابسة لها .

وأتذكر منهم :

ـ السيد علي شبّر (ت ١٣٩٣هـ)

وكان ينزل في منزل السيد عباس بن السيد محمد شبر من ابناء عمومته في محلة يحيى زكريا .

ـ الشيخ عباس المظفر

وكان ينزل في العشار في محلة التميمية عند أحد معارفه .

ـ الشيخ محسن المظفر (ت ١٣٧٩هـ)

وكان ينزل في العشار في دار ابن اخيه الشيخ محمد حسن بن الشيخ عبد المهدي المظفر (ت ١٣٨٨هـ) .

ـ الشيخ ابراهيم الكرباسي (ت ١٤٠٧هـ) .

وكان ينزل في منزل السيد شمخي الشطري بمحلة الجمهورية ، وهو كبير أهالي الشطرة المقيمين في البصرة .

ـ الشيخ محمد طاهر الخاقاني (ت ١٤٠٨هـ).

وكان ـ هو الآخر ـ ينزل في دار السيد هاشم المذكور ، وهو ـ اعني السيد هاشم ـ من أهالي المحمرة الذين هاجروا منها بسبب ضغط الشاه رضا بهلوي على المتدينين ، وسكنوا البصرة ، وكان اهل المحمرة يسمون هؤلاء بالمهاجرين .

وأتذكر ممن كانوا يمرون بالبصرة قادمين من النجف الى ديار اخرى، أو قاصدين النجف من ديار اخرى ، وينزلون ضيوفاً على الوالد ، أو يزورونه لوجودهم في البصرة ، ويعمر المجلس بهم علمياً :

ـ الشيخ عبد الحسين شحتور ، عند ذهابه الى حج بيت الله الحرام ، وهو من علماء سوق الشيوخ ، وكان معترفاً له بالاجتهاد .

ـ الشيخ عبد الله السبيتي ، وهو من علماء لبنان ، وكان مقيماً في الكاظمية ، له مؤلفات ، منها : تحت راية الحق «في الرد على كتاب فجر الاسلام لاحمد امين المصري» ، والمباهلة ، وسلمان الفارسي ، وابو ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، وغيرها .

وتحت اشرافه أصدر ابنه الاكبر عبد الامير السبيتي في الكاظمية سلسلة «حديث الشهر» ، وهي مجموعة حلقات من كتب صغيرة تصدر شهرياً ، ومما صدر منها حسبما اتذكر :

ـ المختار من شعراء الاغاني : الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء

ـ أباة الضيم : الشيخ جعفر النقدي

ـ شاعر العقيدة : السيد محمد تقي الحكيم

ـ الأخلاق عند الامام الصادق : الشيخ محمد امين زين الدين

ـ حجر بن عدي : الشيخ عبد الله السبيتي

ـ فاطمة الزهراء : السيد محمد جمال الهاشمي

ـ ام سلمة : الاستاذ زكي بيضون

ـ خديجة ام المؤمنين : الشيخ عبد الله العلائلي

ـ الامام الصادق ملهم الكيمياء : الدكتور محمد الهاشمي

ـ سكينة بينت الحسين : الاستاذ توفيق الفكيكي

ـ فلسفة الامام : الاستاذ محمد جواد جلال .

ـ السيد راضي آل السيد عثمان من علماء الناصرية ، عند ذهاب الى ايران لزيارة مرقد الامام الرضا (ع) .

ـ السيد باقر الشخص ، عند رجوعه من الاحساء ، وهو من العلماء الاحسائيين القاطنين في النجف الاشرف ، وكان من اساتذة الحوزة العلمية المعروفين ، ومعترفاً له بالاجتهاد .

ـ الشيخ علي آل عيثان ، عند رجوعه من الاحساء ، وهو من العلماء الاحسائيين المجاورين بكربلاء المقدسة والاساتذة المرموقين في حوزتها العلمية ، ومن المجتهدين .

ـ الشيخ محسن الخليفة ، قادماً من العتبات المقدسة في العراق متوجهاً الى الاحساء ، وهو من علماء الاحساء في المبرز وأئمة الجماعة فيها .

ـ الشيخ عبد الله بن الشيخ محسن الخليفة الاحسائي ، قادماً من النجف في طريقه الى الاحساء ، وهو من علماء الاحساء في المبرز ، وأحد اعضاء هيئة التمييز الجعفري في الاحساء .

ـ الشيخ باقر ابو خمسين ، عند رجوعه الى الاحساء ، وهو من علماء المفوف في الاحساء والادباء الاحسائيين ، والقاضي الجعفري في الاحساء .

ـ الشيخ فرج العمران القطيفي ، قادماً من العتبات المقدسة في العراق وايران ، في طريقه الى القطيف . وهو من علماء القطيف وادبائها المرموقين ، وله مؤلفات كثيرة ، منها : موسوعته (الازهار الارجية في الآثار الفرجية) ، و(الروضة الندية) و(ثمرات الارشاد) وغيرها .

وأشار الى إحدى زياراته في كتابه (الازهار الارجية ١٧١/٥) بقوله : «في يوم الخميس الثاني والعشرين من الشهر المؤرخ (شهر شوال من سنة ١٣٧٣هـ) توجهنا الى زيارة العلامة الشيخ الميرزا محسن الاحسائي في منزله العامر في جسر العبيد ، انا والشيخ حسين وعبد المهدي .

وفي اثناء توجهنا اليه استقبلنا السيد النجيب السيد حامد بن العلامة السيد احمد بن السيد محمد ابن السيد احمد السويح ، فأدخلنا محله في المسجد الجامع ، فشربنا عنده القهوة ، ثم قدم لنا السيارة ، وحضر معنا الى منزل الميرزا محسن ، فبقينا عنده الى العصر ، وتناولنا الطعام عنده وقت الظهيرة ، ومعنا السيد حامد، شكر الله سعيه. وقدّمت للميرزا نسخة من (ثمرات الارشاد). ولما صار العصر قدّم لنا الميرزا سيارة ، وأتينا الى منزلنا في العشّار» .

ـ الشيخ محمد علي العمري المدني ، وهو العالم الوكيل في المدينة المنورة ، ومن أصدقاء الوالد المقربين لديه .

ـ الشيخ احمد ابو حليقة الاحسائي ، من علماء المفوف في الاحساء ثم انتقل الى ايران في يزد ثم قم تاجراً ، وتوفي هناك .

ـ الشيخ أسد حيدر ، صاحب الموسوعة المشهورة (الامام الصادق والمذاهب الاربعة) .

ـ الاستاذ علي الخاقاني ، صاحب مجلة (البيان) النجفية المعروفة ، وقد كتب عن هذا في مجلته (البيان : السنة الثالثة : العدد ٦٥ ـ ٦٦ ، ص ٥٠٠) ، قال ـ تحت عنوان (مع العلامة الفضلي) ـ: «والعلامة مرزه محسن الفضلي شخصية ثمينة ، أجمع المعظم على حبها ، فقد تحلى بصفات يحتاج صاحبها الى قابلية وهدوء نفسي كما حصل عليه ، فهو مرن لأبعد حد ، لا يغضب على الاكثر ، ويكثر من الزيارات والتودد لأصدقائه ، أو بأسلوب أجلى ، يتفقد أصحابه اكثر مما يتفقدونه ، لا يكاد يمر عالم أو أديب على البصرة إلّا والعلامة الفضلي يبدؤه بالزيارة على تقدمه في السن والعلم .

خلوق بدون تكلف ، لا يريد السوء بأحد .

تعرفت عليه قبل عشرين عاماً يوم أن كان في النجف يحضر محاضرات الامام النائيني ، ويدرّس الفقه والاصول .

ولقد تمشت المعرفة والصلة معه الى أبعد من هذا الحد ، فقد تلمذ على جدي المرحوم الشيخ علي الخاقاني ، واقتدى برأيه ، كما اقتدى به معظم أهالي الاحساء والبحرين آنذاك ، وبذلك واصل حبه

ولطفه ، وتجلى ذلك في زيارتي للبصرة عام ١٩٤٥م عندما اعتكفت في (المكتبة العباسية) مائة يوم أو تزيد في دار المشايخ آل باش أعيان العباسيين .

كان حضرته في خلالها لا يبرح زيارتي إن لم يكن في كل يوم ، فبين يوم وآخر ، كأنه له ولداً عزيزاً يندفع الى استطلاع أحواله بدافع نفسي .

بهذا الخلق العالي أخذت أواصل حبي له وأتحرى مجالسه عند ترادادي على البصرة في كل عام ، فتراها لا تخلوا من معالجات علمية دينية وأخلاقية على طريقة أرباب الفضيلة قبل سنين .

وحواره في الحديث لم يخرج عن حدود الأدب والاتزان ، فهو مستمد من طبعه الوادع ، يعالج الموضوع معالجة بين المجاملة والحق طمعاً بالاستمرار الذي يفضي إلى إطالة الوقت والاطلاع الزائد .

اقتدى بسيرة الأوائل ، وتحصن بالتعفف ، واكتفى من دنياه باليسير ، وابتعد عن حب الظهور ، وتجنب الدعاية الكاذبة» .

ـ السيد أمان القطيفي .

ـ السيد كاظم بن السيد علي الحسيني الخضري (ت ١٣٧٠هـ) .

كان عالماً فاضلاً وخطيباً حسينياً ، واعظاً ، ومن أبرز أمثلة ونماذج التقوى والورع ، والعفة والنزاهة .

وممن يثق بالوالد وثوقاً تاماً في علمه وتقواه ، ومن آثار هذا الوثوق أن رحل من بلدته (الخضر) الى (البصرة) بعد وفاة الميرزا حسين النائيني الذي كان يرجع اليه في امور تقليده ، ليأخذ رأي الوالد فيمن يرجع اليه بعده ، فأرشده الوالد ـ في حينه ـ الى تقليد الشيخ محمد رضا آل ياسين ، لأنه كان يرى أعلميته بالنسبة الى معاصريه .

كان هذا السيد الجليل يدعى الى البصرة سنوياً من قبل بعض التجار من آل الحجاج (جمع حاج) لقراءة التعزية لمدة عشرة أيام .

وكان مدة اقامته في البصرة يلتقي الوالد ويلتقيه إن لم يكن يومياً ففي اكثر هذه الايام العشرة .

ـ الشيخ محمد امين زين الدين ، وهو من العلماء الفضلاء ، والادباء الكتّاب الكبار ، أصدر عدة مؤلفات ، منها : (مع الدكتور احمد امين في حديث المهدي والمهدوية) و(الأخلاق عند الامام الصادق) و(العفاف بين السلب والايجاب) و(الى الطليعة المؤمنة) ، والموسوعة الفتاوائية القيّمة (كلمة التقوى) التي كتبها لعمل مقلديه في البحرين وغيرها ، حيث يحتل الآن مركز المرجع الديني الوحيد للاخباريين .

ـ والشيخ علي زين الدين (ت ١٤٠٦هـ) شقيق الشيخ محمد امين زين الدين .

كان من اساتذة الحوزة العلمية في النجف الاشرف ، ومن أبرز من اشتهروا بتدريس كتاب (كفاية الاصول) حيث تخرج به العدد الكبير من طلاب الحوزة النجفية .

ـ وغيرهم .

مجلس الجمعة

طلب بعض الاساتذة البصريين من الوالد أن يجلس صباح كل جمعة مجلساً علمياً ، تعالج فيه بعض المسائل والقضايا العلمية .

ووافق سماحته على ذلك ، وتم انعقاد المجلس في الموعد .

وكان الاستاذ المبّرز فيه محمد جواد جلال ، فكان اكثر الحاضرين عطاء في طرح التساؤلات ، واثارة المشكلات ، للحوار والمناقشة .

ويليه في المجال نفسه السيد طاهر ابو رغيف ، وكان حضوره بعد تقاعده من الوظيفة ، وعند تفرغه للعمل الثقافي .

وكان هو الآخر من تلامذة الوالد المقربين عنده ، فقد قرأ عليه (شرح الباب الحادي عشر) في العقيدة ، وجملة من المسائل الفقهية الفتوائية من خلال كتاب (منهاج الصالحين) للسيد الحكيم .

وقد أصدر هذا السيد مدة تفرغه ، وقبل أن يغتاله البوليس البعثي بدهس سيارة من سياراتهم له يوم ١٩٧٧/٥/٢٦م ، أصدر العديد من المؤلفات ، من أهمها :

ـ التوبة والعفو الالهي ، الذي رد فيه على السيد امير القزويني في كتابه(الغفران مع التوبة) .

وبه اشتهر في الأوساط العلمية ، وقرظه له غير واحد من العلماء .

ـ مع الاستاذ خروفة في شرحه لقانون الاحوال الشخصية ، وهو رد على الشيخ علاء الدين خروفه الموصلي القاضي السنّي في البصرة ، وعنوان كتابه كاملاً (شرح قانون الاحوال الشخصية رقم (٨٨) لسنة ١٩٥٩م : يتضمن مقارنة القانون العراقي مع قوانين البلاد العربية وبيان الاحكام المماثلة في الشرائع الاسلامية واليهودية والمسيحية وفي القانون الروماني والقانون الفرنسي) . طبع بجزئين في بغداد سنة ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣م .

وأحياناً عندما لا يطرح شيء ، يقوم الوالد نفسه باثارة بعض المشكلات العلمية أو الفلسفية أو الفكرية بعامة . كان هذا المجلس ـ وبحق ـ من المجالس الثقافية الخاصة المفيدة . وقد استمر انعقاده حتى مغادرة الوالد البصرة الى الكويت فالخبر .

في الزبير

وكان الوالد بعد أن ينفض عقد المجلس ـ المشار اليه فيما تقدمه ـ حوالي الساعة العاشرة زوالية صباحاً يغادر البصرة الى الزبير ليصلي الظهرين إمام جماعة في جامع الحسائية .

وكان بعض الأحيان يعقب الصلاة بشيء من الوعظ والارشاد من على المنبر .

وكان يجلس قبل الصلاة في ديوانية ابناء الحاج عيسى العيسى الحرز الاحسائي للاجابة على اسئلة المستفسرين الدينية ممن اعتادوا ارتياد هذه الديوانية أو غيرهم .

وقد تربّى على يديه جماعة من الشبان المقيمين في محلة الحسائية من الاحسائيين ومن ابناء العمارة ، فكانوا من أوعىٰ وأخلص الدعاة الى الله تعالى .

وللأسف ، حيث تعرض بعضهم للسجن من قبل الحكومة العراقية البعثية وبعض للتعذيب حتى مات تحت وطأته ، وآخرون للإعدام .

حادثة الهلال في البصرة

ليست المرجعية عند الشيعة الامامية كالمرجعية الدينية في الأديان والمذاهب الأخرى ، ذلك أنها لاتقتصر على وظيفة الافتاء في الموضوعات البعيدة عن السياسة أو التدخل في شؤون الدولة .

وانها تقوم بالاضافة الى قيامها بالوظيفة المذكورة بدور القيادة التي ترعى شؤون المسلمين ، وخاصة الشيعة الامامية في جميع مجالات حياتهم حتى المجال السياسي منها .

فالمرجع الديني الامامي يحاسب الحكومة على تصرفاتها المصادرة لحقوق المواطنين ، وربما يتفاقم الموقف بينه وبين الحكومة بما يؤدي الى العمل على الاطاحة بها واقامة حكومة اخرى تلتزم العدل في التعامل مع المواطنين .

وقد ألمحت الى هذا ـ من طرف خفي ـ الجاسوسة الانكليزية المس بِلْ بقولها : «أما أنا شخصياً فأبتهج وأفرح أن أرى الشيعة الاغراب يقعون في مأزق حرج ، فانهم من أصعب الناس مراساً وعناداً في البلاد»[1] .

ومن شواهد هذا ما ذكره جعفر الخليلي في كتابه (هكذا عرفتهم ١/١٠٢) ـ اثناء ترجمته للسيد ابي الحسن الاصفهاني ـ ، ونصه : «وعرضت قضية انتخاب النواب لتأليف أول مجلس تأسيسي للعراق فأفتى العلماء بتحريم دخول معركة الانتخاب والترشيح لدخول المجلس نواباً مالم ينجل الموقف ويؤيد الانكليز أن ليس هناك شيء اسمه (وصاية) أو (انتداب) أو (معاهدة) .

وتأزم الموقف ، وكان السيد ابو الحسن من أشد العلماء تمسكاً بهذا الرأي ، وكان يرى في مخالفته مخالفة للشرع الاسلامي وخروجاً على تعاليمه ، حتى آل الأمر الى نفي العلماء الروحيين واخراجهم من العراق الى ايران» .

كذلك عرفت المرجعية الدينية الامامية بوقوفها في وجه النفوذ الامبريالي ببلاد المسلمين .

وبرقية وِلْسِنْ الى وزير الهند في ١٩١٨/١٢/١٠م ترمي الى تأكيد النفوذ الامبريالي والقضاء على موقف المرجعية منه ، اللذين أشرتُ اليهما ، تقول البرقية : «ان نظري هو أن المناطق الاستراتيجية في الشرق الأوسط تقع في بغداد لا في القفقاس ، فاذا شجعنا فكرة السيادة العربية مقابل السيادة الاوروبية التي انتزعت من الاتراك بالدماء البريطانية والثروة البريطانية سنحرم أنفسنا من المنافع الستراتيجية التي نحصل عليها باحتلال مركز الاعصاب هذا .

لقد تمكنا باحتلال مابين النهرين أن ندق اسفيناً في العالم الاسلامي ، وبهذا حلنا دون تجميع المسلمين ضدنا في الشرق الأوسط»[2] .

---

(١) انظر : دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث ، للنفيسي ١٩٩ .

(٢) انظر : العراق شهادة سياسية ، لحسين جميل ٤٣ .

وهذا وذاك يجعل الحكومة وذوي النفوذ من الاجانب أن يحسبوا كل الحسابات لمثل هذه المواقف من المرجعية .

من هنا كانت الحكومة العراقية ، ومن ورائها الامبريالية العالمية تتحين الفرص المواتية والساعات السوانح للتقليص من نشاط المرجعية السياسي ، وتحجيم دورها في التقليل من سعة نفوذها وبُعد تأثيرها .

فكان أن حانت فرصة متوقعة ، وهي توزع المرجعية بعد وفاة السيد ابي الحسن الاصفهاني سنة ١٣٦٥هـ الذي كان المرجع العام للشيعة الامامية في العالم كله ، فتوزعت في العراق بين كثيرين ، وكذلك الشأن في ايران .

ففي العراق كان في النجف ما يقرب من العشرة مراجع ، ابرزهم :

ـ الشيخ محمد رضا آل ياسين (ت ١٣٧٠هـ) .

ـ الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (ت ١٣٧٢هـ) .

ـ السيد حسين الحمّامي (ت ١٣٧٩هـ) .

ـ السيد ميرزا عبد الهادي الشيرازي (ت ١٣٨٢هـ) .

ـ السيد محسن الحكيم (ت ١٣٩٠هـ) .

ـ السيد محمود الشاهرودي (ت ١٣٩٣هـ) .

وهو أمر غالبي عادة ، فاذا توحدت المرجعية تفرقت بعد ذلك ، ثم تتوحد بعد التفرق .

وكانت المرجعية في تفرقها المشار اليه تتجمع لتتوحد في مرجعية السيد الحكيم .

وتم هذا فأصبح السيد الحكيم بعد مدة ليست بالطويلة المرجع العام للشيعة الامامية .

وتفرق المرجعية ـ بطبيعة الحال ـ يستلزم عادة تفرق وتعدد الوكلاء خارج مركز المرجعية .

وهذا هو الذي حصل في البصرة ، فكان وكلاء المرجعية فيها كالتالي :

ـ سماحة الوالد ، كان وكيلاً عن آل ياسين .

ـ السيد امير محمد القزويني الذي شغل منصب ابيه السيد مهدي القزويني ، كان وكيلاً عن آل ياسين .

ـ السيد عبد الحكيم الصوافي ، الذي شغل منصب الشيخ مهدي الحجّار في المعقل ، كان وكيلاً عن آل ياسين .

ـ السيد سعيد الحكيم الذي شغل منصب عمه السيد باقر الحكيم في العشار ـ وهو من أسرة اخرى غير اسرة الحكيم المرجع ـ، كان وكيلاً عن السيد الحكيم .

ـ الشيخ محمد حسن المظفر الذي شغل منصب ابيه الشيخ عبد المهدي المظفر في العشار ، كان وكيلاً عن السيد الحمّامي .

ـ السيد عباس شبر الذي شغل منصب ابيه السيد محمد شبر ، كان وكيلاً عن الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء .

فحصل أن ارتأت الحكومة العراقية أن تقوم بتجربة عزل المناطق عن مركز المرجعية ، ومن ثم استقلالها بذاتها .

ولما أشرت اليه سابقاً من أن طبيعة البصرة كموقع ومجتمع ساعد على استقبال وتقبل المعتقدات المختلفة ونشوء الفرق وحدوث التفرقة ، كانت البيئة التي اختارتها الحكومة لتجربة عزلها عن المرجعية . فعملت الجهات المعنية بذلك من وراء الكواليس .

وارتأت أن تكون عينة التجربة استقلال المناطق عن المرجعية في إثبات هلال عيد الفطر .

ومهدت لهذا ببث الفكرة في اوساط المتدينين وتحبيبها في نفوسهم حتى لاقت هوى وصدى بالقدر الذي قدرت الجهات المعنية أنه كاف لإجراء التجربة .

فهيأت بشكل غير مباشر أن يجتمع الوكلاء في جامع العجم الذي هو بادارة السيد عباس شبر القاضي الجعفري .

وتم الاجتماع ليلة الاثنين من شهر رمضان بحضور الوكلاء التالية اسماؤهم :

- السيد عباس شبر
- السيد امير محمد القزويني } من البصرة
- الشيخ محمد حسن المظفر
- السيد سعيد الحكيم } من العشار
- السيد عبد الحكيم الصوافي من المعقل

ومركز البصرة والعشار والمعقل هي المناطق الثلاث الكبرى في محافظة البصرة ، والمنظورة دينياً .

وحضر الشهود الذي أعدّوا للمهمة على حين غرة من الناس ، وأدلوا بشهاداتهم المزورة برؤية الهلال .

وأعلن السيد امير محمد القزويني اصالة عن نفسه ونيابة عن زملائه الوكلاء الحاضرين ثبوت الهلال واعتبار غده عيداً .

كان هذا في الوقت الذي لم تُذَعَ رؤية الهلال في المناطق والمدن الاخرى من العراق ، ولم يحدث أي شيء يفيد الثبوت في النجف الاشرف لدى المراجع .

وتساءل الكثيرون من الناس في البصرة عن موقف الوالد ـ قدس سره ـ وجاءوا يهرعون الى بيته في المدينة ، والى بيته في القرية ، وكنا نجيبهم بأن غداً من شهر رمضان .

وتراجع بعضهم فأمسك ونوى الصوم ، واستمر آخرون على الافطار .

وكادت تكون فتنة لولا أن ستر الله باعلان المراجع في النجف الاشرف موقفهم بكل صراحة ، حيث جاءت فتاواهم بأن اليوم الذي أعلنه هؤلاء الوكلاء عيداً ليس بعيد وانما هو تمام عدة شهر رمضان .

ومن أشهرها فتوى الشيخ آل ياسين ، وكانت بلزوم القضاء على من أفطر .

ومن أقواها وقعاً وأشدها تأثيراً فتوى السيد الحكيم ، وكانت بلزوم القضاء والكفارة ، ومختومة بقول : «ولا حول ولا قوة إلاّ بالله» .

وتلقى المراجع في النجف موقف الوالد ـ قدس سره ـ بكل إكبار وتقدير ، وعلموا أنه اللغم الذي انفجر ففجر معمل التجربة وأفسدها .

وقد يتساءل هنا عن موقف الاخبارية والشيخية من هذا .

المعروف عن الشيخية الركنية الموجودين في البصرة انهم يعملون بالتقية في الحكم بالعيد .

وقد رأيتهم خلال المدة غير القصيرة التي عاصرتهم فيها وعايشتهم يصومون ويفطرون مع الدولة .

وكان عالمهم الوكيل يومذاك هو السيد عبد الله الموسوي الذي شغل منصب السيد محمد السويج بعد وفاته .

وكذلك هو الشأن عند الاخبارية الجمالية ، وكان عالمهم آنئذٍ الميرزا عباس جمال الدين الذي شغل منصب ابيه الميرزا محمد تقي جمال الدين بعد وفاته .

أما الأخبارية من اتباع مدرسة البحرين ـ وكان عالمهم في حينه ولا يزال الشيخ محمد امين زين الدين ـ فلم يفطروا لعدم ثبوت الهلال عند الشيخ زين الدين ، ولعدم الحكم به من أي مرجع من المراجع في النجف .

والحمد لله أن كانت هذه التجربة من التجارب التي لم يقدر لها النجاح ولكنها تركت وراءها ذيولاً من الآلام بسبب بعض التصرفات الانتقامية التي أرى الصفح عن ذكرها أحجى .

معركة توحيد المرجعية

بعد نشوب الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ ـ ١٩١٨ م التي ذهب ضحيتها عشرة ملايين قتيل وعشرون مليون جريح ، وعندما تقدمت الجيوش الانجليزية نحو العراق بغية انهاء الحكم العثماني واحتلال العراق ، كان لمراجع الدين الامامية في النجف الأشرف دور مهمّ ومشرّف في الوقوف الى جانب الدولة العثمانية لأنها دولة مسلمة وضد الانجليز لأنهم غير مسلمين .

فقد أعلنوا الجهاد ضد الانجليز وجهّزوا الجيوش لذلك .

يقول الشيخ آغا بزرك في كتابه (طبقات أعلام الشيعة ـ ترجمة السيد محمد سعيد الحبوبي ابرز قادة الجهاد (آنذاك) مشيراً الى هذا : «ولمّا دخل الانكليز البصرة ، وأعلنت الحرب العامة ، واشترك الاتراك بها ، ونادوا بالنفير العام ، ساهم في ذلك العراقيون ، ونهض معظم علماء الشيعة للجهاد ، وأفتوا بوجوبه والدفاع عن بلاد المسلمين ومحاربة الانكليز ، وهاجت عشائر العراق هيجاناً غريباً ، ولم يكتفِ المجتهدون بذلك ، بل خاضوا المعارك بأنفسهم ، وهم :

- شيخ الشريعة الاصفهاني .
- والسيد علي الداماد .
- والمترجم له (السيد محمد سعيد الحبوبي) .
- والمولى محمد حسين القمشهي الكبير .
- والمولى محمد حسين القمشهي الصغير .

ـ والسيد محمد حسين الشاه عبد العظيمي .
ـ والشيخ باقر حيدر .
ـ السيد ابو القاسم الكاشاني . . .
وغيرهم الكثيرون . . .

وهناك فريق من العلماء منعهم عن المشاركة بانفسهم عجزهم وهرمهم وتوقفُ أعمال الشيعة عليهم ، وهؤلاء بعثوا أولادهم نيابة عنهم ، منهم :

ـ شيخنا الميرزا محمد تقي الشيرازي ، فقد بعث ولده الميرزا محمد رضا .
ـ وكذا السيد محمد كاظم اليزدي ، فقد بعث ولده السيد محمد . وغيرهما كذلك .

وقد أبلى الجميع بلاءً حسناً ، جزاهم الله خير الجزاء .

وكان المترجم له (السيد الحبوبي) من أشدهم اهتماماً ، واكثرهم حماساً ، فقد قاد جيشاً جراراً ، وعسكر به في (الشعيبة) ، وقد بلغ عدده تسعين ألف مجاهد ـ على ما سمعته في تلك الايام ـ .

ولما اندحرت الاتراك عن مراكزها ، وآل أمرها الى الانسحاب والجلاء عن العراق بعد عراك طويل ، واندحر جيشه مع ما اندحر من جيوش المجاهدين في يوم الشعيبة المشهور عاد المترجم له الى ناصرية المنتفك لاستنهاض العشائر وحثهم على الحرب من جديد ، ففاجأه الأجل في الناصرية غصة وكمداً ، فحمل الى النجف بتشييع عظيم ، ودفن حيث مقبرته المشهورة في الصحن الشريف ، فكان لوفاته في العراق كله صدى أسف عظيم .

وكان ذلك في أوائل شعبان سنة (١٣٣٣ هـ) ، وتسابق أعلام الأدب لرثائه ، ومنهم العلامة الشيخ جواد الشبيبي فقد رثاه بقصيدة مطلعها :

«لـواء الـديـن لُـفّ فـلا جـهـادُ ويـاب الـعـلم سُـدَّ فـلا اجـتـهـادُ»

ـ انتهى المطلوب من كلامه زيد في علّو مقامه ـ .

إن هذا الموقف أعطى الانكليز بشكل خاص والغربيين بعامة درساً في أهمية دور الشيعة في المجتمع الاسلامي ، الأمر الذي ينبغي أن يحسبوا له كل حساب ، وأن يعدوا العدة في أن لا يقف الشيعة العائق أمام النفوذ الامبريالي .

وتكرر الموقف في ثورة العشرين (١٩٢٠ م) ، التي قامت تدعو الى الاستقلال وانهاء الاحتلال الانكليزي للعراق وجلاء الجيوش الانكليزية عنه ، ليؤكد التجربة أمام الانجليز الغزاة ، لاسيما بما كان يحمل من وثائق جريئة وصريحة ومجسدة لموقف الشرع الاسلامي من الاحتلال الكافر .

تلك الوثائق التي أصدرها قائد الثورة وزعيم الحركة المرجع الديني العام الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي .

وأولى هذه الوثائق ، الفتوى التي أصدرها عندما حمل الانكليز الشعب العراقي على الانتخاب معتمد الحكومة البريطانية (السر برسي كوكس) رئيساً للحكومة العراقية ، فانه ـ أعلى الله مقامه ـ شعر

بالحيلة المدبرة من المستعمر وعرف المغزى ، وانكشف له المخبّأ ، فعند ذلك أصدر فتواه وأبدى رأيه الصائب»[1] .

ونصها :

«إن المسلم لا يجوز له أن يختار غير المسلم حاكماً عليه» .

«فكانت الصيحة الأولى للثورة»[2] و «أقامت العراق وأقعدته لما كان لها من الوقع العظيم في النفوس»[3] .

وكانت الوثيقة الثانية الخطاب الذي وجهه المرجع الشيرازي الى الشعب العراقي بعد الاجتماع السري الذي عقده مجلس الشورى والذي «تقرر فيه أن يكتبوا الى السلطة البريطانية يطالبونها بانجاز ما وعدت به من تحقيق استقلال العراق ، فان لم يجدوا ما يرضيهم بدأوا بالعمل .

وكتب الشيرازي الى رؤساء القبائل الامامية في السماوة والرميثة بالتهيؤ للثورة اذا تصلب الانجليز ورفضوا طلبات العراقيين .

ثم كتب رسالة عامة ابتدأها بقوله : (الى اخواننا العراقيين) ، يقول فيها :

«إن اخوانكم في بغداد والكاظمية والنجف وكربلاء وغيرها اتفقوا على القيام بمظاهرات سلمية .

وقد قامت جماعات منهم بتلك المظاهرات ، طالبين حقوقهم المشروعة المنتجة لاستقلال العراق ـ ان شاء الله ـ بحكومة اسلامية .

فعليكم ان توفدوا مندوبيكم الى بغداد للمطالبة بهذه الحقوق .

واياكم والاخلال بالأمن ، أو التشاجر فيما بينكم .

واوصيكم بالمحافظة على جميع الملل والنحل التي في بلادكم» .

وتتابعت الوفود الى بغداد ، وعمدت السلطات البريطانية الى المطل ، ثم الى الأخذ بالشدة ، فكان من جملة فتاواه :

«إن المطالبة بالحقوق واجبة على العراقيين ، وعليهم رعاية السلم والأمن ، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية اذا امتنع الانكليز من قبول مطالبهم»[4] .

هذه الوثائق وأمثالها ، وكذلك المواقف التطبيقية لها جعلت الحكومة العراقية ومن يدعمها من الحكومات الامبريالية أن يحسبوا كل الحساب .

ورأينا ـ سابقاً ـ كيف حاولت الحكومة العراقية تحجيم نفوذ المرجعية وتقليل سلطتها الشرعية بعزل المناطق المرتبطة بها عن مركز المرجعية .

وبعد تلك المحاولة جدت محاولة اخرى ، عرضتُ هذه المقدمة تمهيداً لها ، وهي :

---

(١) طبقات اعلام الشيعة : ترجمة الشيرازي .

(٢) الأعلام للزركلي: ترجمة الشيرازي .

(٣) طبقات اعلام الشيعة : ترجمة الشيرازي .

(٤) الاعلام للزركلي : ترجمة الشيرازي .

ان الحكومة العراقية عندما رأت توجه المرجعية الى التجمع والتوحد في زعامة السيد محسن الحكيم ، وهو من رجالات الجهاد ضد الاحتلال البريطاني ، ورجالات الدعوة الى استقلال العراق .

وهذا يعني أنه كان ذا وعي سياسي ، وممن كونتهم التجارب وحنكتهم المواقف .

وهكذا شخصية قد تستثمر تفردها بالمرجعية وتجمع السلطة الشرعية فيها لغير صالح الامبريالية .

«في سنة ١٣٣٢ هـ عندما قاد السيد الحبوبي جمهور المسلمين في العراق في جبهة الناصرية ضد الاحتلال الانكليزي ، استصفى الحبوبي السيد الحكيم لنفسه وصحبه معه وأولاه ثقته .

وبعد وفاة السيد أبو الحسن الإصفهاني (سنة ١٣٦٥ هـ) اتجهت اليه الانظار .

وكان السيد البروجردي قد حل في (قم) فتقسمت المرجعية بين السيد الحكيم في النجف والسيد البروجردي في قم ، حتى وفاة السيدالبروجردي (سنة ١٣٨٠ هـ) فاستقل بالمرجعية بعده»[1] .

أقول : عند ذلك ذهبت الحكومة العراقية والمخابرات الانجلوكية تخطط وتنفذ في أن لا يكون السيد الحكيم للمرجع العام .

وبدأ التنفيذ بعد وفاة الشيخ محمد رضا آل ياسين (سنة ١٣٧٠ هـ) ، حيث انطلق عملاء المخابرات يضغطون ـ بشكل مباشر وغير مباشر ـ على الطبقة الثانية من العلماء في النجف ، والذين بيدهم ـ في الغالب ـ ترشيح الفقيه المجتهد للمرجعية ، في أن يعلنوا رفضهم لمرجعية السيد الحكيم .

واحتدمت المعارك داخل النجف وخارجها لسانياً ، وربما يدوياً بين المؤيدين لزعامة السيد الحكيم وبين المعارضين لها .

وكان الوالد ـ رحمه الله تعالى ـ ممن أرجع بعد وفاة الشيخ آل ياسين الى السيد الحكيم .

ورجع بعض الوكلاء في البصرة الى السيد الشيرازي ، ومثّل الحملة المعادية لزعامة السيد الحكيم في البصرة ، ونال الوالد شررٌ من موقفه المعارض ، إلاّ أن الوالد لأنه كان يعرف عوامل المعارضة ويعلم بأهداف المعارضين لم يأبه به .

وأتذكر أن الوالد ألتقى في النجف بعض أصدقائه ، وكان من قادة المعارضة ، ودار الحديث بينهما على أشده ، وعندما نبهه الوالد الى أنه متأثر من حيث لا يدري أو لم يقصد ، بموقف أحد أقربائه وهو يعلم أنه ذو ارتباطات مشبوهة ، انسحب من المناقشة ، ولاذ بالصمت .

وفي الصحن الشريف التقى الوالد صديقاً آخر من رعيل المعارضة ، وسأل الوالد : لمن أرجعتم جماعتكم في التقليد ؟ .

وأجاب الوالدُ : الى السيد الحكيم .

فقال بالحرف الواحد : عارضنا ان لا يكون السيد أبو الحسن الاصفهاني وكان ، والآن نعارض أن لا يكون الحكيم ، ويكون .

وفارقه الوالد وهو يقول : إنهم يريدون ، والله يريد ، ولا يكون إلاّ مايريد الله .

---

(١) اعيان الشيعة ٥٦/٩ ط ١٤٠٦هـ .

وفي هذا الوقت أصدرت الحكومة بطريقة غير مباشر منشورات ضد السيد الحكيم بعنوان : (الوهابية في فتاوى الحكيم) ، محاولة عن طريق نشرها العدول بالناس عن التوجه اليه .

ورأى السيد الحكيم أن لا يرد عليها بنفسه ، ورد عليها الشيخ الأميني صاحب كتاب (الغدير) الشهير ، بمنشورين ، وكذلك رد عليها استاذنا السيد محمد تقي الحكيم عميد كلية الفقه الأسبق ـ وهو من أسرة المرجع الحكيم ـ بمقال نشره في جريدة (الهاتف) البغدادية .

وبقيت المعارضة قائمة ، واستمر نشاطها بين مد وجزر حسب سوانح الظروف ، حتى وفاة السيد آغا حسين البروجردي سنة ١٣٨٠ هـ حيث استقل السيد الحكيم بالمرجعية العامة للشيعة الامامية في العالم ، وعندها أخذ المعارضون يتراجعون .

ولكن وضعت لهم خطة اخرى هي الالتفاف حول السيد الحكيم والتأثير عليه .

إلاّ أنهم لم يقووا على ذلك لأن شخصية السيد الحكيم كانت لماحة وقوية في إطار مرونة الى حدود القدرة الوافية على الشد والارخاء في التعامل مع أمثال هؤلاء .

أما في البصرة فكل الذين كانوا يرجعون في التقليد للشيخ آل ياسين رجعوا الى السيد الحكيم وثوقاً بالوالد واعتماداً على رأيه لمعرفتهم بمستواه العلمي العالي والذي هو فوق مستوى جميع الوكلاء البصريين آنذاك ، ولنزاهته ولزومه تقوى الله في السر والعلن .

المعركة مع الشيوعية

لعل خير تعريف موجز للشيوعية ووافٍ بايضاح مفهومها وتعداد أهدافها وبيان ركيزتها الأولى (البيان الشيوعي) ، وأهم أحزابها في العالم ، هو ما ورد في (موسوعة المورد ٦٧/٣ ط ١) .

ولأنه كذلك فضلّت أن اكتفى به في تعريف الشيوعية تمهيداً لمعركتها في العراق مع الدين والمتدينين ، ونصه :

١ ـ «الشيوعية Communism : نظرية سياسية بنيت على أساس المساواة المطلقة والملكية الجماعية لوسائل الانتاج والسلع الاستهلاكية .

ومن هنا كانت بشكلها الحديث امتداداً للاشتراكية Socialism .

والشيوعية الحديثة تعتبر الانسان كائناً اقتصادياً ، منكرة بذلك مختلف اشكال الدين والميتافيزيقا أو ماوراء الطبيعة metaphxsics ، وتطالب بأن تكون السيطرة على الدولة وعلى النشاط السياسي كله في ايدي العمال ، وتؤمن بالصراع الطبقي Class struggle أي الصراع على السلطة بين البورجوازية أو الرأسمالية ـ بوصفها الطبقة المستغلة ـ وبين البروليتاريا Proletariat أو طبقة العمال والكادحين ـ بوصفها الطبقة المستغلّة ـ، وترى ان تاريخ المجتمعات البشرية لايعدو أن يكون صراعاً بين الطبقات .

أما الهدف الأبعد للشيوعية الحديثة فهو السعي لاقامة مجتمع بلا دولة .

وأياً ماكان فمفهوم الشيوعية عريق في القدم ، وبحسبنا أن نشير هنا الى أن أفلاطون ألمح في كتابه (الجمهورية The Republic) الى أن الملكية الخاصة تتعارض مع الخير الأسمى .

ويعتبر (البيان الشيوعي) منبثَق الشيوعية الحديثة ، في حين يعتبر (الاتحاد السوفياتي) أول دولة اشتراكية أو شيوعية في العالم .

وبعد الحرب العالمية الثانية انضمت الى المعسكر الشيوعي دول أوروبا الشرقية ، ثم قامت الصين الشعبية عام ١٩٤٩ م ، ولكن الشقاق ما لبث أن وقع بين الدولتين في الستينات من القرن العشرين بسبب من اتهام الصينيين للسوفيات بالانحراف وايثار التعايش السلمي مع الدول الرأسمالية» .

٢ ـ «البيان الشيوعي Communist Manifesto : بيان أصدره عام ١٨٤٨ م كارل ماركس Marx وفريدريك انجلز Engels ، وضمنّاه أول تحديد لمبادىء الشيوعية الحديثة ، ونداء الى عمّال العالم يدعوهم الى التعاون والاتحاد .

وسرعان ما أصبح هذا البيان أحد الركائز الرئيسية التي قامت عليها الأحزاب الاشتراكية والشيوعية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وفي العقود الاولى من القرن العشرين» .

٣ ـ «الحزب الشيوعي Communist Party : اسم يطلق على كل حزب بروليتاري قائم على أساس من الماركسية اللينينية ، ويعتبر الحزب الشيوعي الروسي الذي أسسه لينين Leninعام ١٩١٨م، بعد نشوب الخلاف بين البلاشفة Bolsheviks والمناشفة Mensheviks ، والذي عدل اسمه عام ١٩٥٢ م ليصبح (الحزب الشيوعي السوفياتي) أقدم هذه الأحزاب على الاطلاق .

وقد انشق هذا الحزب بعد وفاة لينين الى جناحين :

جناح ستالين Stalin .

وجناح تروتسكي Trotsky .

ونشب بين الجناحين صراع مرير كُتبت فيه الغلبة لستالين .

وإثر وفاة ستالين جاء خروشوف Khrushchev فشجب الستالينية ، ورأى فيها ضرباً من (عبادة الشخصية) .

والى جانب الحزب الشيوعي السوفياتي ظهرت في بلدان مختلفة من العالم أحزاب شيوعية قوية ، منها :

ـ الحزب الشيوعي الصيني .

ـ والحزب الشيوعي في دول الكتلة الشرقية .

ـ والحزب الشيوعي الايطالي .

ـ والحزب الشيوعي الفرنسي .

والأحزاب الشيوعية تتعاون عادة ابتغاء تحقيق أهدافها المشتركة ، ولكنها كثيراً ما تتصارع وتتنابذ وتختلف في الاجتهادات والمفاهيم .

وبعض الأحزاب الشيوعية اليوم موالٍ لموسكو ، وبعضها موالٍ لبكين ، وبعضها ذو نهج مستقل عن كلا المعسكرين» .

وامتداداً لهذه الاحزاب وجدت الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية ، ومنها الحزب الشيوعي العراقي ، وهو من أقدم الأحزاب العراقية ، نشأ سرياً على يدي يوسف سلمان يوسف ـ من صابئة الناصرية ـ ورفاقه في العمل السري .

وكان يوسف هذا يلقب بـ (فهد) كأسم حزبي ، وهو الذي عناه الشيخ عبد المنعم الفرطوسي بقوله :

أنّى يعم الأمن في بلدٍ به (فهد) يسود و(عفلق) يتزعمُ

وصدر له :

ـ قضيتنا الوطنية .

ـ مستلزمات كفاحنا الوطني .

وأهم الأسباب التي ساعدت على دخول الشيوعية الى العراق وانتشارها بين ضفوف شعبه من أبناء الطبقة الفقيرة :

١ ـ دكتاتورية الحكم .

٢ ـ الاقطاع .

٣ ـ الطبقية الاجتماعية الواسعة .

٤ ـ كثرة المجتمعات الفلاّحية .

وقبيل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ م كان في العراق أكثر من حزب سري ، منها :

ـ الحزب الشيوعي ، وكان يملك قاعدة شعبية عريضة .

ـ حزب البعث العربي الاشتراكي .

ـ حركة القوميين العرب .

ـ جماعة الاخوان المسلمين .

أما الأحزاب المجازة فأهمها :

ـ حزب الاتحاد الدستوري .

ـ حزب الأمة الاشتراكي .

ـ حزب الاستقلال .

ـ الحزب الوطني الديمقراطي .

وكان النشاط على الساحة الشعبية الوطنية للأحزاب السرية . ووصل النشاط السري للأحزاب السرية الى القواعد العسكرية العراقية ببغداد وبقية المدن العراقية الكبرى ، وخشيت المخابرات الانجلوكية من مغبة الأمر ، فراحت تخطط لإجهاض الثورة المتوقعة .

فكان أن حدثت الثورة ، وقامت أول جمهورية عراقية ، وأعطي الحزب الشيوعي قيادتها في أوساط الجماهير الشعبية ، وأعطيت له الحرية التامة في أن يسفر عن حقيقته ، وأن يمارس نشاطه علناً .

فنزلت الى الأسواق مختلف المنشورات الثقافية الشيوعية من كتب ودوريات شهرية وأسبوعية ويومية .

وتعاقب خطباؤه على المنابر لالقاء المحاضرات في الثقافة الشيوعية .

وكان من بين ما نشر ، الكتب التالية :

ـ البيان الشيوعي .

ـ رأس المال ، كارل ماركس .

ـ أساليب القيادة ، ماوتسي تونغ .

ـ دروس الثورة ، لينين .

ـ رسائل من بعيد ، لينين .

ـ القضية الوطنية ، ستالين .

ـ واجبات الشيوعيين ، لينين .

ـ المفهوم المادي للتاريخ ، بليخانوف .

ـ أسس اللينينية ، ستالين .

ـ الى فقراء الريف ، فالديمير ايليا لينين وغيرها كثير جداً .

وبهذا الفسح الواسع للمجال امام الشيوعيين أن يصحروا بحقيقتهم استطاعت المخابرات الانجلوكية أن تمهد لاجهاض الثورة الوطنية ، ومن ثم الاستيلاء التام على مقاليدها .

وعندما أسفرت الشيوعية أمام رجالات الدين ومراجع التقليد في النجف الاشرف عن وجهها العدائي للدين والمتدينين ، دخلوا معها معترك الصراع الفكري بين الشيوعية والاسلام .

فشكلت (جماعة العلماء) سنة ١٩٥٩ م في النجف ، باشراف المرجع الديني الأعلى السيد محسن الحكيم . واختير الشيخ مرتضى آل ياسين معتمداً لها .

واختير الشيخ مرتضى آل ياسين معتمداً لها .

وألفت لها لجنة توجيهية برئاسة الشيخ مرتضى آل ياسين وعضوية كل من :

ـ السيد محمد تقي بحر العلوم .

ـ الشيخ حسين الهمداني .

وكان بقية أعضائها هم العلماء التالية أسماؤهم :

ـ السيد علي الخلخالي .

ـ السيد مرتضى الخلخالي .

ـ الشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي .

ـ الشيخ محمد جواد آل الشيخ راضي .

ـ السيد محمد باقر الشخص .

ـ الشيخ محمد رضا المظفر .

ـ الشيخ خضر الدجيلي .

ـ الشيخ محمد تقي الايرواني .

ـ السيد موسى بحر العلوم .

ـ السيد اسماعيل الصدر .
ـ الشيخ حسن الجواهري .
ومارست نشاطها من خلال الأعمال التالية :

١ ـ إصدار منشور أسبوعي يوزع وعلى نطاق واسع داخل العراق وخارجه ، ويذاع من إذاعة الجمهورية العراقية .

وكان المنشور يكتب من قبل السيد محمد باقر الصدر ، ويلقيه عن طريق الاذاعة السيد هادي الحكيم من خطباء المنبر الحسيني ، ومن أسرة المرجع الحكيم ، ويطبع ويوزع عن طريق البريد وبأيدي المبعوثين الذين ترسلهم الجماعة الى المناطق العشائرية ، ومع الوفود التي تؤم النجف الأشرف للزيارة .

٢ ـ اصدار نشرة اسبوعية باسم (الاضواء) .

وكان يكتب افتتاحيتها بعنوان (رسالتنا) السيد محمد باقر الصدر ، إلاّ آخرها كتبها الشيخ محمد مهدي شمس الدين لسفر السيد محمد باقر الصدر الى الكاظمية ، وتحت مراجعته .

وألفت هيئة تحريرها واصدارها من :
ـ السيد محمد حسين فضل الله .
ـ الشيخ محمد مهدي شمس الدين .
ـ الشيخ محمد رضا الجعفري .
ـ الشيخ كاظم الحلفي .
ـ عبد الهادي الفضلي .

وقد أسهمت أسهاماً كبيراً في نشر الفكر الاسلامي ، وملء الفراغ العقائدي الذي كان يعاني منه أبناء العراق ، وفي نقد الشيوعية فلسفة اعتقادية ونظاماً اقتصادياً ، فكوّنت حولها جيلاً مسلماً رسالياً داعياً .

٣ ـ اصدارات مكتب الاضواء من كتب ، أمثال :

ـ فلسفتنا ، السيد محمد باقر الصدر .
ـ اقتصادنا ، السيد محمد باقر الصدر .
ـ الاسلام : ينابيعه . مناهجه . غاياته ، الشيخ محمد أمين زين الدين .
ـ مشكلة الفقر : دراسة تشريعية على ضوء الاقتصاد الاسلامي ، عبد الهادي الفضلي .
وغيرها .

ثم أصدر المرجع الديني الأعلى السيد محسن الحكيم فتواه الشهيرة ، ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم
وله الحمد

لا يجوز الانتماء الى الحزب الشيوعي فان ذلك كفر وإلحاد وترويج للكفر والالحاد ، أعاذكم الله وجميع المسلمين من ذلك ، وزادكم إيماناً وتسليماً ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
محسن الطباطبائي الحكيم
١٧ شعبان ١٣٧٩

فكانت الصوت الثائر الذي ألهب الموقف وأجج الحماس في الجماهير المؤمنة لمطاردة الشيوعية في كل بقعة وصقع .

وإليها والى مفعولها القوي يشير الدكتور الشيخ أحمد الوائلي بقوله :

حتى تداركنا كالرعد منطلقاً صوت الفتاوى على أفواه من زأروا
دوّى بها نفر من خير قادتنا عند الخطوب فمرحى أيها النفرُ
فانجاب ليل وولّت ظلمة ومشى ضوء ورفرف فتح أبلج نضرُ[1]

٤ ـ حفز الجماهير المؤمنة الى إقامة الاحتفالات الكبرى بمناسبة ميلادي الامامين علي والحسين (ع) ، وكان كل احتفال يقام تظاهرة جماهيرية ضخمة ، وحملة ثقافية كبرى .

وكان دور العلماء خارج النجف الاشرف التجاوب مع النجف في كل مواقفها .

وقام الوالد ـ رحمة الله تعالى ـ بدوره في هذا المجال على أفضل ما يرام .

فكان يهاجم الفكر الشيوعي في كل مجالسه في الصبخة والبصرة والفيحاء والجزيرة ، ومن فوق المنبر يوم الجمعة في الزبير .

برقية شجب الاشتراكية

كانت نتائج المعارك النضالية الفكرية التي قادها علماء الامامية في النجف وخارجها وبمؤازرة علماء السنة في بغداد وخارجها أن تقلص ظل الشيوعية ، وخسر الشيوعيون قاعدتهم العريضة .

ولكن ـ ويا للأسف ـ حققت ـ سياسيا ـ المخابرات الانجلوكية بسرقة ما توصل إليه النضال الاسلامي ، أهدافها في إجهاض الثورة الوطنية ، وتحويل مسرى الاتجاه العراقي الى خدمة الامبريالية بسيطرة حزب البعث العربي الاشتراكي الذي راح يطارد كل الذين شاركوا من قريب أو من بعيد في ضرب الشيوعية ، مما دعا العلماء أن يحاولوا معاودة النشاط الفكري السياسي في ضرب الاشتراكية التي يتبناها حزب البعث العربي الاشتراكي .

وكان منه أن أبرقوا الى السلطة في بغداد بشجب الاشتراكية ، وطلبوا من وكلائهم خارج النجف تأييد برقيتهم ببرقيات مماثلة .

ولكن ـ وللأسف ـ لم تستجب لهم إلاّ البصرة ، فأبرق العلماء الوكلاء فيها برقية الى بغداد بشجب الاشتراكية وتأييد المرجعية في النجف الأشرف .

---

(١) الموسم ٢ ـ٣ /٤٦١ . السنة الاولى ١٩٨٩م.

ولكن المخابرات الانجلوكية كانت على أتم الأهبة لصد التحرك الاسلامي ، فكان ما كان من أحداث رهيبة مطاردة وسجناً وتعذيباً واعداماً ، وأفعالاً أخرى يندى منها جبين الشرف ، وتنذوي عندها الكرامة حياء وخجلاً .

وكان نصيب علماء البصرة الذين وقّعوا على برقية الشجب أن استدعتهم السلطة المحلية واحداً واحداً وأطالت الحديث والحوار معهم وعيداً وتهديداً .

وخطت الخطوة الأولى نحو محاولة تسفير الوالد لأنه غير عراقي ، فبعث سماحته ـ قدس سره ـ الى في النجف رسالة مع الحاج سُفيّح العبدال من أهالي صبيخة العرب ، يطلعني فيها على ماجريات ذيول البرقية ومقدمات التسفير ، فغادرت النجف ـ فوراً ـ الى بغداد ، وذهبت بمعية السيد مرتضى العسكري عميد كلية أصول الدين الى منزل الوزير الدكتور عبد الحسن زلزلة ، وأطلعناه جلية الأمر ، فوعد بأنه سيكلم السيد صبحي عبد الحميد وزير الداخلية ، وكذلك زودني أستاذي الوزير الدكتور عبد الرزاق محيي الدين برسالة الى محافظ البصرة ، وأوقف أمر التسفير عن التنفيذ .

ووضع جميع العلماء المراجع والوكلاء تحت المراقبة السرية المشددة والمكثفة ، مما استدعى السيد الحكيم أن يعتزل الناس في داره بالكوفة .

ثم وبعد أن توفي السيد الحكيم يوم ٢٦ ربيع الاول سنة ١٣٩٠ هـ اشتدت وطأة الضغط على الجميع ، واندفعت المخابرات الانجلوكية عن طريق واجهاتها السلطوية في تتبع العاملين في سبيل الدعوة الى الله ، بما ليس للعاملين قِبَلٌ على مقابلته ومقاومته .

فخرج الكثير من العراق ، وكان من الذين خرجوا الوالد ـ رحمة الله تعالى ـ .

وكان هذا بعد أن أصيب بمرض السكري الذي أتى على بصره حتى لم يبق منه إلاّ بصيص ضئيل كان يستخدمه في مواصلة القراءة والمطالعة بمعونة النظارة الطبية والمكبرة .

الفقيد في أيامه الأخيرة
في الكويت

وحط رحله في الكويت لفترة يستريح فيها ، ثم يواصل طريقه الى مدينة الخبر .

وكان يلتقي فيها أكثر الأحيان في ديوانية الحاج يوسف الشمالي حيث توجه إليه هناك من قبل الحاضرين المسائل الدينية ويجيب عليها .

وكان أكثر من يدير الحوار بطرح الأسئلة شاب من آل الشمالي يحمل شهادة الدكتوراه ، لا يحضرني اسمه الآن .

وكان يذهب ـ قدس سره ـ بين فينة وأخرى الى منطقة الدوحة حيث يوجد عدد من أبناء صبخة العرب الذين نزحوا الى الكويت للعمل ، وكعادته ـ رحمة الله تعالى ـ يعمر المجلس بالتوجيه الديني والارشاد الى طريق الله تعالى ، والاجابة على الأسئلة الشرعية التي توجه إليه .

○ الميرزا محسن الفضلي وعن يمينه الخطيب الشيخ عبد الرسول الكاظم التاروتي .

○ من اليمين : الشيخ عبد الرسول البيابي ـ الميرزا محسن الفضلي ـ الشيخ منصور البيات .

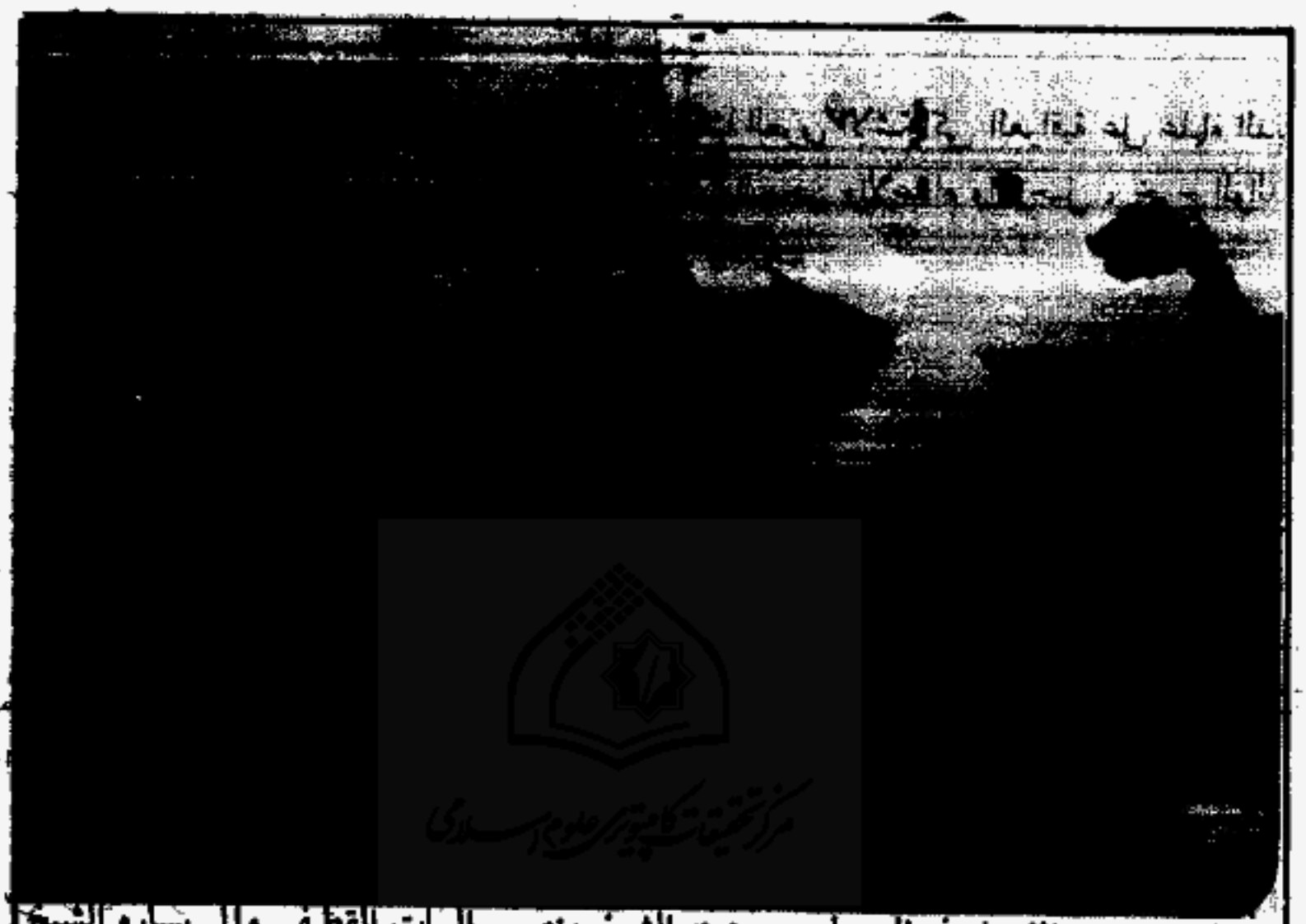

○ الميرزا محسن الفضلي في الوسط وعن يمينه الشيخ منصور البيات القطيفي والى يساره الشيخ أحمد آل سيف التاروتي وهما يتبارزان !

○ من اليسار : الشيخ حسين العمران ـ الشيخ ميرزا محسن الفضلي ـ الشيخ عبد الرسول البيابي القطيفي ـ الشيخ محسن المعلم الجارودي القطيفي ـ الحاج حسين المازني البصري ـ السيد منير الخباز القطيفي .

في سيهات

وكما مر ، عندما اشتدت وطأة حكومة حزب البعث العربي الاشتراكي العراقية على علماء الدين بعامة والشيعة منهم بخاصة ، وأخذت تتبعهم بالاعتقال والسجن والاعدام والترحيل ، خرج الوالد ـ قدس سره ـ من العراق مع من خرج من العلماء وغيرهم .

وغادر البصرة الى الكويت ، ومكث فيها مدة .

ثم غادر الكويت الى مدينة الخبر وبقي فيها مدة .

وغادرها الى الاحساء .

ثم استقر به المقام بعد هذا التطواف في سيهات ، وابتنى له بيتاً فيها من قيمة البستان الذي ورثه عن أبيه .

فكان مجلسه فيها المركز والمنتدى الذي يلتقي فيه العلماء والطلاب من أهالي القطيف وسيهات وصفوى والدمام ، وتبحث وتناقش فيه مختلف المسائل الدينية من فلسفية وكلامية وفقهية وأصولية ومالى ذلك .

هذا بالاضافة الى مجلسه العام الذي يقصده عامة الناس للاستفادة منه في ماينفعهم من شؤون الدين ومايحتاجون إليه من أحكام تطبيقية .

وكان مدة سكناه في سيهات يتردد على الاحساء ، وبخاصة الهفوف والقارة والحوطة من مدنها وقراها بدعوة من أهاليها للاستفادة منه علماً وتوجيهاً .

واستمر ـ قدس سره ـ على هذا النمط من السلوك حتى في مدة مرضه الذي توفي فيه ، والتي امتدت مايقرب من ثلاث سنوات .

وفاته

وعندما اشتد به المرض أدخل مستشفى الدكتور محمد فخري في مدينة الخبر ثم نقل الى مستشفى الملك فهد الجامعي بالخبر أيضاً ، وفيه اكتشفت اصابته بالورم الخبيث المعروف بالسرطان .

وبعد هذا انتقلت مراجعته من المستشفى المذكور الى مستشفى الظهران التابع لشركة الزيت العربية الامريكية (ارامكو) .

وعندما ثقل به المرض ادخل مستشفى ارامكو المذكور يوم الاثنين ٩ ذي القعدة سنة ١٤٠٩هـ .

وفي مساء يوم الجمعة ١٣ ذي القعدة ـ ليلة السبت ١٤ من ذي القعدة في الساعة الحادية عشرة زوالية انتقلت روحه الطاهرة الى الرفيق الأعلى راضية مرضية بعد قرن من الزمن أو ما يقرب منه قضاه في خدمة الله تعالى والعمل بما يرضيه .

وفي صباح يوم السبت ١٤ ذي القعدة أعلن عن الوفاة والتشييع ، ونقل الجثمان الطاهر الى مغتسل سيهات ، وحضر علماء المنطقة ووجهاؤها .

وفي الساعة الرابعة من بعد الظهر حمل الجثمان الطاهر على الاكف في موكب مهيب حضره علماء المنبر الحسيني ، وجمع غفير من جماهير المنطقة رجالاً ونساءً .

وكان يوم تشييعه يوماً مشهوداً من أيام سيهات .

وسار الموكب حتى جامع المهدي حيث وضع النعش ، واقيمت الصلاة عليه من قبل الشيخ منصور البيات امام جامع الامام علي بالقطيف ومن علمائها المبرزين ، ثم من قبل الشيخ عبد الحميد الخطي القاضي الجعفري بالقطيف ومن علمائها البارزين وشيخ ادبائها .

ثم حمل النعش المطهر وسط بكاء الجماهير وحسراتها على سيارة اسعاف تابعة لجمعية سيهات الخيرية الى المدينة المنورة ، ومعها سيارة اخرى فيها من أفراد الأسرة وآخرون مواسون حيث لم يُرغب في زيادة عدد السيارات لأسباب أمنية يفرضها الظرف .

وتم دفن الجثمان الطاهر في مقبرة البقيع عند قبور أئمة أهل البيت (ع) في الساعة التاسعة من صباح يوم الأحد ١٥ ذي القعدة ، بحضور الشيخ محمد علي العمري عالم الشيعة في المدينة المنورة ، وقام بالتلقين ولده الشيخ كاظم العمري .

واقيم عزاء الأسرة في حسينية الأسرة في قرية الخوطة بالاحساء ، والمعروفة بحسينية العبّاد ، ولمدة اسبوع .

وحضر العزاء علماء الاحساء وسيهات والقطيف وصفوى والدمام ومختلف طبقات المجتمع في المنطقة الشرقية ، ووفود جاءت من خارجها من البحرين وقطر والامارات العربية المتحدة والكويت وعرعر وجدة والرياض والمدينة المنورة ، وغيرها .

وتعاقب خطباء المنبر الحسيني من اهالي المنطقة يؤبنون الفقيد العظيم ، ويعزون اسرته وابناء المجتمع في المنطقة بفقده .

وفي الايام الأولى للعزاء أعلنت اذاعة طهران العربية نبأ الوفاة ، وقد سبّب لنا هذا الاعلان بعض الشيء من المشكلة تغلبنا عليه بالحكمة والتعقل .

واقيمت له مجالس العزاء في النجف وكربلاء والبصرة والزبير من العراق ، وفي طهران وقم من ايران ، ومن قبل الطلبة المسلمين في امريكا وكندا وبريطانيا ، وفي حي السيدة زينب بدمشق ، وفي القطيف وسيهات والاحساء ، وغيرها .

جزى الله القائمين بها خير الجزاء ، وأثابهم عليها بأفضل ما يثيب العاملين لتعظيم شعائره تعالى وتقدس .

وأرخ وفاته الشيخ الشيخ عبد الكريم الزرع القطيفي بقوله :

ذقنا الأمرُّ على الأمرْ مذ غاب والينا الاغرْ
ذو الفضل والعلم الذي بالاجتهاد قد اشتهرْ
فضلُّينا اعظمْ به عَلَماً أتانا من هَجَرْ
يا صاحِ فاندبْ محسناً ما طار طير واستقرْ
وانحبْ عليه ولذْ به أرخ (له غاب القمرْ)

١٤٠٩

وأرخها ايضاً الشيخ محمد بن الشيخ حسن الجزيري الاحسائي من قصيدة له في تأبينه بقوله :

أرخْ (فقيد الدين مرزا محسنٌ يعلو السماء للجنان يرسلُ)
١٤٠٩

وأود أن أذكر هنا حادثتين وقعتا ترتبطان بالمناسبة ، احداهما قبل وفاته ، والاخرى والجثمان الطاهر في طريقه الى المدينة المنورة .

أما الأولى فقد وقعت لي ، وخلاصتها :

قبل وفاته ـ رضوان الله عليه ـ بثلاثة أشهر تقريباً التقاني شخص وقال لي : إن موت والدك سيقترن وموت السيد الخميني وموت عالم آخر ، يموت السيد الخميني ثم يموت العالم الآخر ، وبعدها يموت والدك ، ومدة الاقتران شهر .

وفعلاً وقع ما قال ، فقد مات السيد الخميني في نهاية شوال لسنة ١٤٠٩هـ ، ومات بعده السيد علي الفاني وهو من المراجع والاساتذة في النجف ثم في قم ، وبعدهما في ١٤/١٣ ذي القعدة توفي الوالد .

سبحان الله ، ما أصدق هذا القائل .

والثانية ذكرها لي أولادنا والآخرون الذين كانوا معهم برفقة الجثمان الطاهر ، وخلاصتها :

ان سيارة الاسعاف التي كانت تقل الجنازة ، بعد أن اجتازت منطقة الرياض متجهة الى القصيم قارب وقودها على النفاد ، ووقفت عند أقرب محطة ، ومن الاتفاق أنها كانت خالية من البنزين ، فاستمرت السيارة بالسير بغية الوصول الى المحطة الثانية التي بعدها ، ونفد مافيها من بنزين قبل الوصول الى المحطة الثانية بمسافة طويلة ، ربما كانت قريباً من ٨٠ أو ٩٠ كم .

فتوقفت السيارة ، وصار راكبوها في حيرة من أمرهم ، فطلبوا من سيارة مرت بهم شيئاً من البنزين ، ولأنه لم يوجد في سيارتهم ولا في السيارة الأخرى انبوب لنقل البنزين عادوا في حيرتهم وغادرتهم السيارة .

وبينما هم كذلك إذ أقبلت عليهم من البادية سيارة ووقفت عندهم وناولهم صاحبها وعاء من المطاط مملوءاً بالبنزين من دون أن يطلبوا منه ، وذهب لتوه بعد أن تناولوه منه شاكرين له تفضله ، وأفرغوا البنزين بسيارتهم وساروا بها ، وكان بالمقدار الذي أوصلهم إلى المحطة التي أمامهم .

ما أعظم الإيمان انه السر بين العبد وربه .

فقيد العلم والتقوي

العلامة الخطيب الشيخ جعفر الهلالي*

ماذا سيكتبُ في تأبينك القلم ... وفي فؤادي أضحى يحفر الالم
وهاهو الجرح مني يستحيل لظىً ... من المصاب وركن الصبر منحطم
غداة يخبرنا الناعي بفاجعة ... هوى بها من ذرى عليائنا علم
يا للمقادير كيف استنزلت أسداً ... عن بُرجه ، فتهاوى العزُّ والشَّمم
قد غاب ذاك الذي كان المنار لنا ... على الطريق ، فغابت بعده الهمم
مضى فغادَرَ دنيا الحق ثاكلةً ... من بعده ، فالعلى والمجد يخترم
طوى الحياة وللأخرى مشى ولهاً ... مودِّعاً شيَّعته الأدمع السُّجُم

* * *

إنا إلى الله . . أمرٌ لا مردَّ له ... فللمنيةِ ما تسري بنا القَدَم
يومان للمرءِ في الدنيا تُلازمه ... والعمر بينهما ، بدء ، ومختَتَمُ
والفضل في العمر أن يحي الصلاح به ... ومن ثمار جناه تصطفي الأمم
وهكذا (محسن الافضال) كان لنا ... عين القلادة ، فهو العيلم الضَّخم
كم قد أفادوكم أعطتِ مواهبه ... للناس ، فهو عظيم وكفه ديم
قد كان والحق دواراً بحكمته ... فكل قطرٍ له من فضله قسم

* * *

يا راحلاً كم زهى بالعلم مجلسه ... عبر السنين يجلي حسنه الكلم
ما ضم شخصك نادٍ كنت تألفه ... إلا ولاح به للعلم مستنم
تثيرها بين أهل الفضل في شغفٍ ... مسائلاً حولها الآراء تحتدم
حتى يعودَ بها النادي مدارسةً ... للعلم ، مالفضول القول فيه فم
هاتيك منك سجايا كنت أعرفها ... ما قصرت بك عن اتيانها قَدَم
لله درُّك ما اسماك من عَلَمٍ ... للعلم عشت وفيه كنتَ تحترم

* * *

---

* جمع بين الثقافتين الجوامعية والجامعية وجدد في الخطابة الحسينية شكلاً ومضموناً ، وبرز شاعراً عرفت له المحافل في العراق وغيرها مواقفه المشرفة .

يـا راحـلاً وإن امتـدّت بـه مُـدَدُ ... من الحيـاة ،فتلك الأبحـر الفعـم
كنت البقيـة من تـأريـخ كـوكبـةٍ ... عـاشت ، وللحق مـا تـأتي وتعـتزم
واكبتـه عـمـراً مـا فيـه منـقصـةٌ ... لـطالـبيـه ، ولم يـعلق بـه وصـم
حـصنت ذاتـك بـالتقـوى تـزينهـا ... وللكـرامـة في بـرد التـقى عـصم
ومـا طـلبت ظهـوراً في الحيـاة وإن ... بـدا لهـا منـك ذاك الفضـل والكـرم
وكـنـت لـلخـلق الـعـالي تجسّـده ... وفي الخـلائـق مـا تحيى بـه الأمـم
ولـلـنـواحـي كـم حـلـت جـانـبـه ... وذاك لـلـعـلـم مـيراث ومـتّـسـم
ولـلـصراحـة تـبـديهـا بـلا كـلف ... وكـنت فيهـا بنهـج الحق تعتصم
هـذي هي المثـل العليـا تعشقهـا ... قلبٌ لـديك تُـوفّىً عنـدهـا الـذمم

* * *

يـا راحـلاً قـد قـرأنـا في مسـيرتـه ... روحَ الجهـاد بمـا يبنى بـه العـظم
فلست أنسى لـدى (الفيحاء) مـأثـرةً ... من صنع جهدك فياضاً بهـا الغنم
أحييت جيـلاً توارى العـرف مستـراً ... في سـاحـة ، واستبـدّالجهـل والسـأم
بـه قـفـزت إلى عـليـاء سـاريـةٍ ... من الأمـان فعـاد الـوضـع ينتـظم
وقمت تصلح من تلك النفـوس ولم ... تعبأ ، وإن كـثرت من حولـك الأزم
حتى أقمـت سلوكـاً طـاب منبتـه ... وذاك منـك عـطاء فـضـله عـمـم
من يصنـع الخير لم يعـدم جوازيـه ... وعنـد ربـك مـا تجـرى بـه النعم

* * *

ومـن صنـيـعـك والأيـام شـاهـدةً ... بمـا أقـول وعـنـدي فـيـه مـلتزم
نهوض شخصـك لـلأصـلاح مبتـدراً ... لم تـأل جهداً لـدى من راح يختصم
أطفـأت نـائـرة كـادت تشب لظىً ... لـدى (عميـدين) فـيـا تصنـع التهـم
حيث (الحبيب) الـذي أفضـالـه عـرفت ... في (گـردلان) ومـا لـلفضـل مكتتم
وحيث وافت إلى (المهـدّى) زعـنـفـةً ... مكـذوبـةً عنـدهـا الأخبـار والكـلم
شمّرت عن سـاعـد الاخـلاص مبتغياً ... إصـلاح بينهـمـا ، في خـطوك الحكم
وكـنـت مـنـتـصـراً حـقـاً لمـظلمـةٍ ... آثـارهـا من لأهـل العلم قـد ظلمـوا
حتى كشـفت عـن الأبصـار غـاشيـةً ... منهـا تـوالت عـلى قـلبيهـمـا سُـدُم
وحـزتهـا ـ حين وافت منـك ـ مَكرُمـةً ... ولـلمكـارم أهـلوهـا ومـا عُـدِمـوا

* * *

(أبـا عـمـاد) عـزاءً بـالمصـاب فقـد ... أتـتـكَ قـافـيـةً أوحـى بهـا الألم
سكبتهـا من شغـاف القلب مـرثـيـةً ... (بـالأربـعـين) ونـار الحـزن تضـطرم
صبـراً وإن جلت البلوى بفقـد أب ... أضحى لـه الـديـن والإسـلام ينـثلم
ففي الجنـان لـه من روضـهـا خَلَدٌ ... وفي الـدُّنـا عنـدنـا من ذكـره نَغَمُ

ما مات من (أنت) من أبنائه خلفٌ ... وفي (محمد) والباقين معتصم
وهل سينشر ذاك الورد غير شذىً ... ذاكٍ تَعَطُّرُ منه القاع والنسَّم
ومن تطيب أصول من أرومته ... فقد زكى بفروع منه تبتسم
وفي الختام تقبل من أخي ثقةٍ ... بعض الوفاء وما للحق يختتم

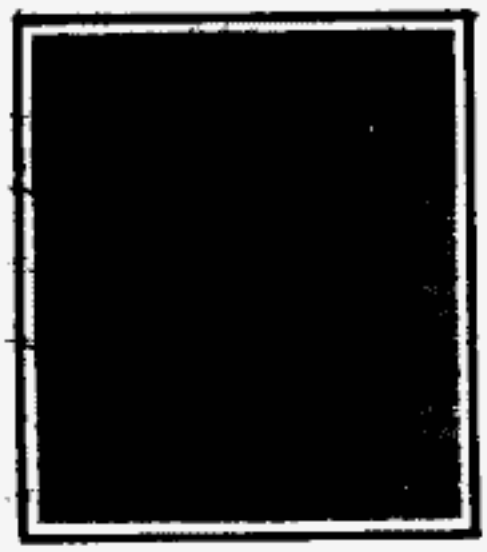

ما زلت نجماً

الأستاذ محمد أحمد مكي آل ناصر

«من الطليعة الواعية وشعراء القديح البارزين»

ارثيك بحراً بصافي الدر ملتطما ... وعالماً حلّ في أوج العلى قمما
وكوكباً تبهر الأنظار طلعته ... يجلو الغياهب بالأنوار والظلما
وحاكماً أن بدت للناس مشكلة ... بغير سنة خير الخلق ما حكما
ولا دجت غمة إلّا انبرىٰ عجلاً ... بفكره يكشف الأستار والغمما
وروضة يجتني منها تقى وحجى ... نسيمها يوقظ الألباب والهمما
ما زلت نجماً شموخاً في العلو سماً ... أنار أرضاً لنا في نوره وسما
ارثيك فكراً بعيد الغور ملتهباً ... حماسة يدفع الأخطار والازما
وطلعة من جلال الله مشرقة ... يهاب من قربها أهل الحجىٰ عظما
وناشراً فقه أهل البيت في دعة ... قد كنت للوازدين السلسل الشبما
وكنت للشرعة السمحاء خير أب ... تحنو بجد على أحكامها نهما
غوثاً وغيثاً إذا ما حلّ ساخنه ... ظامٍ يرويه من أنعامه ديما
حارت بصائر أهل العلم فيك ومن ... يحير الفكر في علم يكن علما
علوت فكراً وفاخرت الحيا كرماً ... وفضت فهماً فحلّق في الورىٰ شيما
كنت العظيم لما أوتيت من حكم ... ولم تكن لقضاء الله منتقما
قد صمَّ ناعيك سمع الدهر حين نعىٰ ... فضلٌ يشكو عليك الوقر والصمما
وشبّ ناراً من الآلام ما برحت ... توري بأكبادنا في جمرها ضرما
ابكيت أجفاننا حزناً ولا عجباً ... لفقدك الدين دمع العين منه هما
يا حامل النعش ماذا تحملون به ... حملتم العلم والأخلاق والحكما
فلا تهيلوا تراباً فوق غرّته ... فمثله في الورى لم يسكن الرجما
يا شيخنا لم تمت ذكراك باقية ... نمتار من عطرها فضلاً تقىً همما
بدأت عمرك في علم وفي عمل ... وفيهما عمرك الزاكىّ قد ختما

عاش قرنا

الاستاذ محمد سعيد الجشي*

عاش قرناً كالكوكب الوضاء ساطعاً في حنادس الظلماء
في ائتلاف كطلعة الفجر اشراقاً سخياً كالجدول المعطاء
لم يدنس تقيؤه جمع حطام فهو الطهر سيرة الأولياء
طاهر الذيل عاطر الذكر شهم ونقي كالصفحة البيضاء
حجة في الأنام في فيض علم علم خافق بهيُّ الرواء
خطبه احزن الربوع (فبالاحساء) نوح و (الخط) رجع بكاء
ومصاب الخليج فيه عظيم (فأوال) و(الخط) (كالأحساء).
وكسى (البصرة) الحزينة منه ليل حزن بمأتم. لعزاء
فقدت فيه للصلاة إماماً هادياً في صباحه والمساء
ذلك المسجد الحزين ينادي أين مصباحه وتالي الدعاء
اين منه الامام في وسط المحراب يدعو في رقة وبهاء
ثلمة لاتسد يارب رحماك توارت عنا شموس الضياء
أين تلك الأعلام في (الخط) و (الأحساء) بنوداً خفاقة في الفضاء
قد تواروا مثل النجوم عن الأفق وغابوا خلف الفضاء النائي

* * *

أيها الراحل الكريم سلاماً ما عرفناك غير وجه نقاء
حين خف السرير ضجت جموع من رجال تبكي وحشدُ نساء
قد حملناك في السرير كشمس قد تغطت ببردة خضراء
وتعاليت في الفضاء كنجم ساحباً مئزراً من العلياء
وتساميت للخلود بأرض هي مثوى (الأئمة النجباء).
ضم ذاك الأديم خير ضجيع وسليل من (فاطم الزهراء)
في ثرى (طيبة) حللت بأرض شمخت رفعةً على الجوزاء
عند مثوى (الرسول) خير رسول سيد الرسل خاتم الانبياء
في رحاب (البقيع) جنب (امام) وشهيد في زمرة الشهداء
فهو العلم في الحياة خلود وصعود للذروة الشماء
ما حياة الشعوب من غير علم؟ إنه العلم منقذ الجهلاء
فعزاءً يا أنجم العلم فيه والكم ذويه حسن عزاء

---

* من أبرز شعراء القطيف المعاصرين، اتسم شعره بالأصالة والمعاصرة وعرف من بين لداته بتخليد أحداث المنطقة فيما كتب ونظم وقد جمع شيئاً من هذا في ديوان خاص مائل للطبع.

إن فقدتم به ملاذاً وكهفاً فهو حقاً من أفضل العلماء
قد فقدنا به تراثاً من العلم أميناً من خيرة الأمناء

* * *

من ربوع القطيف دمعةُ حزنٍ وادكار بموقف لوفاء
من يوفي الشموس حق سناها أو يوفي الغدير حق عطاء
ليس بدعاً إن قلت فيه قصيداً بمديح مدبَّج أو رثاء
فلقد كان (للقطيف) محباً ومجلاً للنخبة العلماء
كان دوماً يشيد بالفضل فيها ويوالي الثناء تلو الثناء
فسلام عليه في جنة الخلد بأفياء جنة فيحاء
واليكم مني تحية قلب مفعم بالولاء صدقِ الولاء

النبأ المفجع

الاستاذ باقر بن الملا بعد المحسن النصر

(من الطليعة المثقفة المؤمنة في سيهات ، تصله بالميرزا محسن رابطة القرابة والتلمذة الروحية)

قد غدا الافق علينا مظلما مذ عماد الدين منه هدما
يا هلالاً غاب عنّا آفلاً مثل ما يأفل بدر في السما
كسفت شمس الهدى من فقده وكسوف الشمس يضني الانجما
فهو من نور العلوم ساطع وهو بالعلم كنجم قد سما
يا له من خبرٍ فاجأنا فقدنا الشيخ العظيم الأكرما
رزءُ فقد الشيخ في اعماقنا حق للمقلة تبكيه دما
شيخنا الفضلي شمس للتقى والد الهادي بطهر قد سما
وابل فوق سمانا ممطر قد حبانا علمه غيثاً هما
ثلمة بانت لنا في موته يثلم الدين بموت العلما
عجباً للارض ضمّت علماً خافقاً والدين منه ثلما
فابك للعلم وسل محرابه اين يا محراب كنز العُلما
قد حرمنا بركاتٍ بعده ومريد العلم منه حرما

فأنت العز والمجد الأثيل

الاستاذ السيد محمد رضا الهاشم الشخص*

إلى صرح الهدى كيف السبيل ... ومن بعد الفقيد من الدليل
بموتك محسن الفضلي صرنا ... ضياعاً أيها الشيخ الجليل
وبعدك حوزة العلماء حلت ... بساحتها المناحة والذهول
ودنيا المؤمنين أسى وحزن ... ففقد إمامها أمر مهول
وهذا منبع التقوى جفاف ... وعين المجد قرحها العويل
وأمست روضة الفقهاء قفراً ... ففكرك ريها والسلسبيل
وعقلك ذلك الوضاء فيها ... ككنز منه تستعطي العقول
إذا حار الجواب بعبقري ... لمسألة وأعيته الحلول
وأوقد جذوة التفكير فيها ... ولم يسعفه تفكير طويل
أتاك وكله ثقة وجزم ... على أن كلُّ مشكلة تزول
ففي كفّ الشجاع وليس إلا ... فديتك يقطع السيف الصقيل

* * *

إذا ما فاخرت هَجَرٌ سواها ... فأنت العز والمجد الأثيل
وإن تاهت على الأقطار زهواً ... فأنت بنحرها العقد الجميل
وإن طرقت تروم الجود باباً ... سواك أغاضها زمن بخيل
وإن همت إلى العلياء تسعى ... ففي ساحات علياك النزول
وقد عُرف الندى في آل طيٍّ ... بحاتمها وليس له مثيل
وقد ورث الندى منها بنوها ... فسهمك في الندى سهم جزيل
وبصرةُ تلك تشهد واليتامى ... بها فبعيشهم أنت الكفيل
كانك لليتيم أبٌ وأمٌ ... وهل يشقى وأنت له المعيل
وكم لك من أياد البيض تترى ... كما لك في السخا طبع أصيل
وفي دنيا الجهاد لك الفتاوي ... ضلالُ الملحدين بها يزول
فانصار الشيوعيين رُدُّوا ... صغاراً منك وانطفأ الفتيل
أبا هادي ولابنك في المعالي ... وميزان النهى وزن ثقيل
فعبد الهادِ عوّضنا وإلا ... فبعدك ليس يُرضينا بديل
وشعري والرثا بحر خضم ... يحاول غوصه طفل نحيل
فقل للشعر كُفَّ عن المراثي ... فحملُ الشمس باليد مستحيل
وميدان السباق فضاء رحب ... وحتماً يخسر الفرس الهزيل

---

* يشغل الأستاذ الشخص وظيفة محاضر بقسم اللغةالعربية ـ جامعة الملك سعود (الرياض) ويعد من أبرز الشعراء المعاصرين في الإحساء .

الشيخ عباس المحروس

● مما يتصف به الفقيد المقدس : جرأته التي لا يملكها أي أحد فلا يجامل في الحق ولا تأخذه في الله لومة لائم ، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن . وأذكر على سبيل المثال أن أحداً سأله عن بعض مسائل الحج فقال بعد أن لمس من السائل تقليد من لا تكفي ولا يجزي تقليده ، قال له ـ من دون تردد ـ لا داعي أن تذهب للحج حتى تصحح تقليدك ! وسألته مرة عمن أجازه فذكرهم ثم قال : أن شخصاً أجازني ثم تبيّن لي عدم اجتهاده فذهبت له ومزّقت الاجازة أمامه وقلت له : لانك لست مجتهداً فكيف تجيز الآخرين !

وان الزائر الذي يكثر الذهاب اليه يلمس طبيعة الابتهاج والفرحة بالسلام عليه وهذه هي الآداب التي ينبغي لأهل العلم على اختلاف رتبتهم الالتزام بها .

(ومن ذكرياتي) أنني سألته عن زواج القاسم بن الامام الحسن قال : هذا مخالف للحكم الشرعي لأن سكينة كانت متزوجة فكيف يصّح ذلك ؟ أقول وهذا هو رأي المحقق الاستاذ السيد الخوئي وقد سألته شخصياً فأجاب بنفس الجواب بل توجد له فتوى بذلك .

وسألته عند من درست الفلسفة فقال عند الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ومعنا الشيخ رضي المحروس وذكر بعض الأعلام من القطيف والأحساء .

عادل العيثان

استاذ معيد في كلية اعداد المعلمين (الدمام)

تعرفت على الفقيه العظيم والمجتهد الكبير الميرزا محسن منذ أن كان يزور قرى الاحساء والقارة للتعليم والوعظ والارشاد وكنت متحمساً للقائه وسررت بقبوله ذلك فذهبت اليه ليلاً ولدىّ خمسون سؤالاً في الفقه والعقيدة والاصول . وأدهشني تواضعه وترحيبه ، وبالرغم من ضيق وقته وكبر سنه إلاّ أنه أجاب على الخمسين تباعاً دون تبرم أو توقف .

ثم توالت لقاءاتي به فألفيته دوماً قوي الحجة ، حاضر البديهية يباغتك بالبرهان ، وعرف (رحمه الله) بصراحته في الحق ، وجرأته للعدل ، واصلاحه بين المتخاصمين على اختلاف طبقاتهم ، وتحليه بالخصال العربية الحميدة كإكرام الضيف وقضاء الحاجات وتفريج الكربات ، وابائه عن قبض الحقوق الشرعية ورعاً منه وتقوىً .

رحمك الله أبا الهادي ووفق (. .) للسير على نهجك وخطاك .

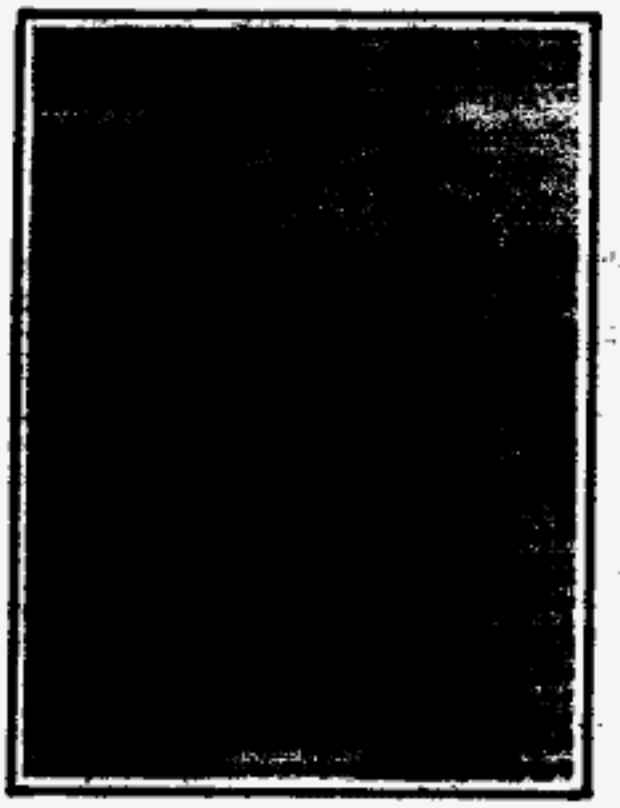

● مما يتصف به الراحل العظيم : الصراحة فهو لا يرضى أبداً بالسكوت على الخطأ أو بالمداراة على حساب الدين ، ولقد حدث أن زاره أحد طلبة العلم وتحدث بمحضر الشيخ الفضلي بحديث فيما كان من أحد الجالسين ـ وكان من عوام الناس ـ إلاّ أنه أظهر خطأ مقولة ذلك الطالب ، فوقف الشيخ ـ رحمه الله ـ موجهاً الرجل العامي لأنه على حق ولم يعبأ بالطالب المشدوه بمعلوماته . والصراحة التي امتاز بها الفقيد الغالي لها قيمتها إذا لو سكت العالم على كل ما يلاحظه من أغلاط فمن يوجه العوام ومن يعلّم على الحقيقة .

وكان (رحمه الله) يتمنى أن يموت كأبي ذر رضي الله عنه ، وكذلك كان ، فقد مات وهو لا يملك من هذه الدنيا شيئاً فحيا الله تلك النفس المقدسة .

عيسى صليل
(سيهات)

فيوض الهدى

تساويت في خلدي والهدى ... ومحض التقى وصميم الندى
تعاليت حتى سموت الخلود ... فكنت الحفيّ بأن تخلدا
فأنتَ الضمير الذي في النفوس ... وصوتك منه اليه صدى
مقوّمة بك كل الميول ... لأنك من نفسه جَرّدا
فيا ابن جنادة في عصره ... كما عاش عشت هنا مُبعدا
مضيت على نهجه زاهداً ... شريفاً تقياً عفيف الردا
وقلبك حبٌ أرقُّ القلوب ... وتلك لعمري فيوض الهدى
سلام على آخذ في البقيع ... جوار بني هاشم مرقدا
يطوف الشعور به محرماً ... ببرديهِ من ترحٍ سُوَّدا
يلبيك تلبية الفاقدين ... أنين النوى ولهيب الصدى
ويبكيك والشعر وحي انفعال ... وأيّ انفعالٍ يحاكي الردى

السيد حسن الخليفة

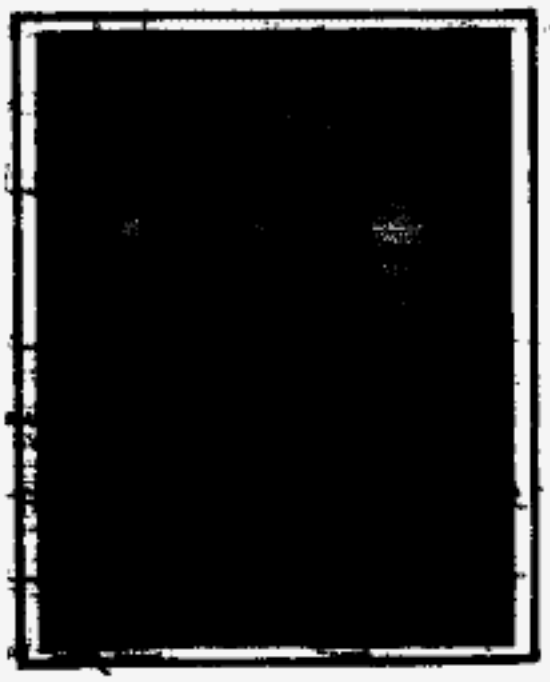

الفقيه الزاهد

الخطيب الشيخ عبد الحميد الشيخ منصور المرهون*

صعدت إلى أوج الخلود روح سمت فوق الحدودِ
ضاقت بها الدنيا فعادت نحو خالقها الورودِ
كبرت على الدنيا فناداها ارجعي نحوي وعودي
عودي إلي لك الرضى في خير صحب من عبيدي
فمضت ولم تملك متاعاً من طريف أو تليدِ
وكذا يروح الصالحون بلا قديم أو جديدِ
للعلم والأعمال تدأب ليس للقصر المشيدِ
في الذكر والأذكار تسهر ليس في وتر وعودِ
لسعادة الإنسان تعمل ليس للعيش الرغيدِ
ولربما أتت المنية في ركوع أو سجودِ

* * *

هذا أبو الهادي مثال الطهر والهدي الرشيدِ
قرناً من الدنيا قضاه وهو في جهد جهيدِ
في العلم والتعليم والإرشاد بالرأي السديدِ
لله دره عاش هذا العمر في نسك وجودِ
يهدي القلوب من العمى يحيي النفوس من الجمودِ
فإذا جلست له رأيت لديه معراج الصعودِ
فعلبك إن رمت السعادة قول هل لي من مزيدِ
روضات جنات مجالسه فيا روضات عودي
يا حبذا تلك المجالس يومها سعد السعودِ
فيها أبو الهادي الزعيم بدون وعد أو وعيدِ

---

* من أشهر خطباء المنبر الحسيني في القطيف وأطرافها ومن أقواهم في تحليل السيرة وأعمقهم في تصوير المأساة.

فيها أبو الهادي المهاب بدون نار أو حديدِ
فيها أبو الهادي المطاع بلا سلاح أو جنودِ
هو هكذا في العارفين ذوي النباهة والجدودِ
لكنه في غيرهم هود ثوى في قوم هودِ

* * *

كرهوا الصراحة فيه فاعتزلوا الفرات إلى الصعيدِ
وبقي زمانا بينهم مع قربه مثل البعيدِ
حتى مضى واحسرتاه على الفرائض والحدودِ
يا حسرة الدنيا على عمد المعالي والعميدِ
واحسرتاه على العلوم لفقده يا عين جودي
جودي بدمعك فهو في علمائنا بيت القصيدِ

* * *

وإذا مضى فإلى البقيع يزف جثمان المفيدِ
فمن الرسول وآله في عالم الأرواح نودي
نودي عليه بجسمه وبروحه يا روح عودي
فينا ارجعي معنا ارتعي في جنة الفردوس سودي
هذا جزاؤكِ فابشري بجوار غفار مجيدِ

* * *

بشرى أبا الهادي مضيت إلى الامرّة والورودِ
وتركت بعدك جهبذا أسداً تولد من أسودِ
علامة حبراً به تبقى حياتك في الوجودِ

● بقية المراثي :

جاء في الأصل مجموعة كبيرة من المراثي لم يتسع المجال لنشرها ضمن هذا الملف . وتضم قصائد شعرية لكل من : الحاج محمد بن حسين آل رمضان الاحسائي والشيخ عبد الكريم آل زرع ، والشيخ محمد الشيخ حسين الجزيري والاستاذ جلال العلي محمد والمهندس جاسم الصحيح والسيد حسين الخليفة .

وكلمات للشيخ محسن المعلم ، والحاج حسين المازني ، والاستاذ يعقوب العضب وقصائد شعبية للشيخ ناصر العجاجي والاستاذ باسم العيثان ، ومواد أخرى غيرها نأمل أن تتاح الفرصة لنشرها كاملة ومن الله التوفيق .

(الموسم)

الامام الشيخ ابو الحسن الخنيزي

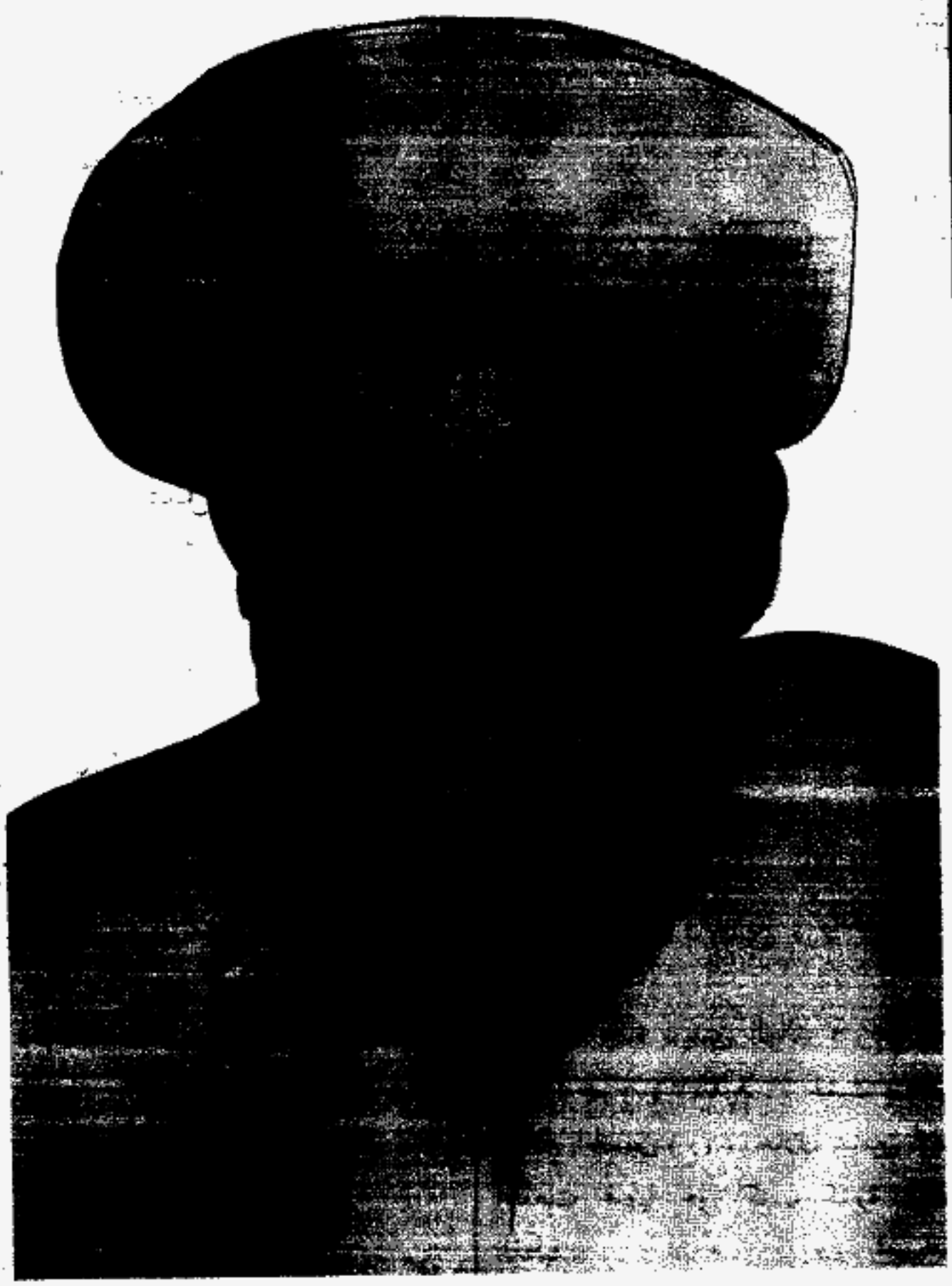

من كبار العلماء المجتهدين في المنطقة الشرقية ـ السعودية اقرا ترجمته ومجمل اعماله وآثاره وما قيل فيه ضمن ملف خاص في عدد قادم